الطبعة الثانية – نسخة مزيدة

خواطر سجين

أبو حذيفة السوداني



بيت المقدس



1440 هـ - 2018 م

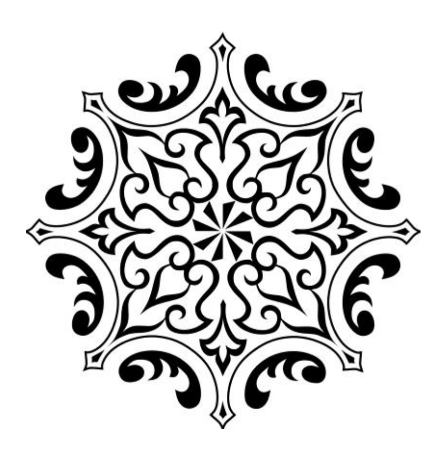
Baytalmaqdiss44@gmail.com

طبعة ثانية

بيت المقدس

خواطر سجين

للشيخ أبي حذيفة السوداني



بيت المقدس

مقدمة الناشر

هناك خلف أسوار السجون، تدور فصول معركة كبرى، لا تقل أهمية عن معارك الأمة مع أعدائها، ولا تقل ضراوة عن ضراوة المعارك الشرسة التي تدور رحاها في ميداين الجهاد المختلفة، ذلك أنها معركة البقاء والكينونة، معركة العقيدة السامقة والانتصار للمبادئ بأغلى ثمن، إنها معركة يتجلى فيها طغيان وجبروت الظلم كالوحش يريد أن ينقض على فرسان العزيمة والإباء، جنود الإسلام الأسرى الأشاوس، ليرجعوا عن دينهم، فما يلبث أن يتقزم هذا الوحش لمهابة الطلّة، طلة الإيمان الراسخ المتجذر، ذلك أنها طلّة تنورت من معين القرآن ومن هدي خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، فلم يعد يهم صاحبها موت ولا تعذيب ، لم تعد تساوي عنده اللحظات العسيرة إلا زيادة أجر على الابتلاء. فمن يقدر على هزيمة من يزيده الابتلاء ثباتا واعتزازا واستبشارا. من لا يزيده طغيان السجان وظلمه إلى رقيا في مراتب الوصال السماوي وقربا من رب السموات والأرض، فأي انتصار يجرأ على المنافسة!.

في هذا الكتاب الذي ينبض بالحكمة والمحبة، وتتلألأ حروفه بحبر من الخبرة والتجربة والمشاعر الصادقة والمفاهيم الثابتة، يصور لنا الشيخ أبو حذيفة السوداني حفظه الله وتقبل منه رباطه في الأسر، يصور لنا بأسلوبه الأنيق والهادئ جمال وروعة النفوس المبتلاة في سجون الظلم والقهر الطاغوتية، يقفز بنا تارة إلى أدب السجون، وتارة لأخلاق الأسرى، أو يعرج بنا على تفانيهم وتنظيمهم وصبرهم رغم مكر السجان، فيبحر بنا في خيال ماتع عاشه حقيقه إخوان لنا لازالوا في معركة السجن يسطرون قصة عبقرية الثبات في أحلك الظروف، وآخرون نجاهم الله فلا زالوا يحمدون ربهم ويشكرون،وآخرون سبقوا إلى بوابة السماء رحمهم الله وتقبل منهم وجزاهم عن صبرهم وثباتهم خير الجزاء.

ولأنه كلم خط بروح أسير مجاهد، انتهل من ساحات الصبر والمصابرة ما يكفيه لأن ينسج بديع الحكم ، فيوثق بها التاريخ ويستخلص بها عذب الحديث والتجربة من قلب أسر مظلم، سارعت بيت المقدس للعناية بهذه الدرر ولجمع هذه الخواطر في كتاب واحد ينير رفوف مكتباتنا الإسلامية والجهادية، لعلنا نتعلم من خلال العيش مع روح الكاتب ونسيج حروفه، كيف يصنع الابتلاء من الرجال منابر علم وهدى وعطاء.

إن كل حرف خطه الأسير البصير، وكل نفس وكل إحساس، لكفيل بأن ينبهنا لجمال الروح المسلمة الصابرة المبتلاة ويحذرنا من مغبة التقصير في ذكر هؤلاء النبلاء ويدفعنا للسعي لفكاك أسرهم وبينهم طفاحلة العلم والنجباء، في زنازين انفرادية يسبحون بالليل والنهار. لا تزال معركتهم تدور رحاها، وفي كل يوم انتصار يبرق في فضاء السجن، بين ثبات وصبر وتذاكر في الله، بين حفظ لكتاب الله وتدارس لعلوم الإسلام وتسابق في الخدمة وعطاء الإيخاء، بين ابتسامة في وقت قهر تقتلع غرور الظالم، معاني راقية جدا ستجدونها في هذا السفر الماتع، لمن أحسن القراءة بقلبه والاستشعار.

فجزا الله الشيخ أبي حذيفة السوداني خير الجزاء على مشاركتنا هذه الخواطر البهية وهذا التاريخ الثقيل، ونرجو أن يحذو حذوه كل صاحب تضحية وتجربة فريدة عظيمة، حتى نتعاون على البر والتقوى ونتواصى بالحق ونتواصى بالصبر.

بيت المقدس

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ المجاهد والأسر

قال الله تعالى :﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[1].. الجهاد في سبيل الله طريق شاق..ومسيرة صعبة.. تكاليفه قاسية.. وتبعاته ثقال.. ولكن عاقبته حميدة.. هو درب التضحيات.. فراق الوالدين.. وترك الزوجة والأبناء.. والغربة عن الوطن.. والمطاردات الأمنية.. والجراحات.. والأسر.. أما القتل في سبيل الله فهو أسمى أماني المجاهد...

يظل (الأسر) هاجساً يؤرّق المجاهد.. يخشى أن يقع فيه.. وهو أكبر المخاوف التي تعتريه..يهون دونه كل تبعات هذا الطريق.. ولكن شئنا أم أبينا.. ينبغي للمجاهد الذي سلك هذا الطريق أن يعلم أن (الأسر) هو أحد تكاليفه.. وأن يضع في حسبانه أنه ربما يخوض هذه التجربة .. وقد يدفع هذه الضريبة...

الوقاية خير من العلاج..يحرص المجاهد على الأخذ بالأسباب التي تحول دون وقوعه في الأسر... على رأس تلك الأسباب التوكل على الله وحسن الظن به والثقة بكفايته.. ولن تنال كفايته إلا بتحقيق عبوديته.. قال تعالى:﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ

[1] البقرة 216.

عَبْدَهُ﴾[2].. والكفاية على قدر العبودية.. كلما ازدادت عبوديتك لله.. إزدادت كفاية الله لك..كما قال ابن القيم .. ويجتهد في الدعاء والتضرع إلى الله.. ثم بعد ذلك يحافظ المجاهد على أمنه الشخصي.. وأمن الجماعة التي يعمل من داخلها.. ثم يوطّن نفسه على كيفية التعامل مع الحدث إذا وقع في (الأسر)..

إلتقيت بعض الإخوان في السجن فكنت أسألهم :هل كنت تتوقع الأسر؟ كانت إجابات بعضهم بالنفي..هؤلاء كان الأسر صدمة لهم..مرّوا بتجربة قاسية في بداية أيامهم..أستطيع أن أسميها(مرحلة إنعدام الوزن)..ولكن الله لَطَف بهم..سرعان ما استعادوا توازنهم..وتجاوزوا الصدمة الأولى..واستقرت أحوالهم..

في عام 1422 هجري ..كنا عائدين من القصيم باتجاه مدينة الرياض..كنا أربعة أشخاص هم أفراد الخلية..تحدث أحدنا عن عمليتنا العسكرية القادمة..وعن تكاليفها وتبعاتها..والتي قد يكون(الأسر) من ضمنها..فأفاد وأجاد..فيما بعد..أُسرنا جميعاً نحن الأربعة ..الأول حُكم (5) سنوات.. وخرج بعد(11) سنة.. والثاني خرج بعد أن أكمل محكوميته البالغة (15) سنة..أما الثالث والرابع.. فأحدهما حُكم (12) سنة..والآخر (14) سنة.. ولا زالا في السجن منذ (16) عاماً.. فكّ الله أسرهما.. وفرّج عنهما وجميع أسرانا..

قال أحد أهل العلم:

إنما يجاهد المؤمن في الله جهاده..

[2] الزمر 36.

إن أخفق فإفاده..

أو أوذي فإراده..

أو نُفيَ فرياده..

أو سُجن فعباده..

أو عاش فقياده..

أو مات فشهاده..

فله الحسنى وزياده..

❁ الأسير والتربية

فترة التحقيق هي أصعب فترات السجن وأخطر مراحله التي يمر بها الأسير من حيث المعاناة التي يعيشها نفسياً وجسدياً...

في أيامي الأولى في الزنزانة الانفرادية..وبعد أن قطعت شوطاً من التحقيقات التي تبدأ بعد صلاة العشاء وتمتد حتى أذان الفجر ..وأحياناً يستمر التحقيق إلى قرابة الثامنة صباحاً..في تلك الأيام سخر الله لي مسئول المكتبة في الحائر القديم..فطلبت منه أربعة كتب .. فأحضرها جميعاً..تفسير ابن كثير المجلد الأول..وفتح الباري كتاب الجهاد..وزاد المعاد كتاب الجهاد وهو المجلد الثالث..وتهذيب مدارج السالكين لابن القيم..كان حصولي على هذه الكتب نعمة من الله وفضلاً...

لكن من بين هذه الكتب الأربع كان تهذيب المدارج منّة ربانية وفتحا إلهياً على شخصي الضعيف..كنت بحوجة إلى مثله وأنا في تلك الظروف.. عشت بين صفحاته بكل خلجات قلبي.. قرأت سطوره بعيون فؤادي.. هزّ كياني بكلماته..انسابت عباراته في أنفاسي.. ما أروعها من لحظات.. لا أستطيع أن أصف مشاعري وأنا بين دفتي الكتاب في تلك الزنزانة.. أثّر في نفسيتي.. أعاد تشكيل خارطتي.. كنت كما الأوراق المبعثرة.. فجاء هذا الكتاب ..فرتبها ونظّمها..

عشت في ظلال هذا الكتاب خاصة وأنا أقرأ منازل التوكل.. الصبر.. الرضا.. الشكر.. فترك بصماته على روحي.. بل حياتي كلها.. وظلت آثاره لا تفارقني طوال السجن.. تغيرت اتجاهات تفكيري.. غدوت أنظر الى الابتلاء أنه نعمة وليس نقمة.. وأن المحنة إنما هي منحة.. وأن الألم يصير أملاً... وتستعذب الروحُ كل مصيبة في الله...

أقول عن تجربة شخصية.. السجن فرصة عظيمة لتربية النفس.. هناك تنكشف النفس وتتعرى تماماً.. تعرف نفسك على حقيقتها..تظهر مكنوناتها.. تعرف مواقع ضعفها.. وأين يكمن الخلل.. فتنطلق مستعيناً بالله.. تصلح وترمّم وتهذّب.. تجبر الكسور.. وتسد الثغرات.. وتعالج الهفوات..

ابن القيم رحمه الله أستاذ في التربية.. ومن خلال كتبه تنطلق لتربية نفسك وإعدادها روحياً وسلوكياً.. فيصبح كل حدث في السجن درساً تربوياً لك.. وتصير كل أزمة تجربة ذاتية نافعة لك.. وتغدوا كل واقعة معيناً روحياً لك.. إنها التربية من خلال الأحداث والوقائع اليومية في السجن..

لا تعجب إذا قلت لك أن السجن هو المحضن التربوي الذي يعيد صياغتك من جديد.. تذوب في أحماضه أدران النفس وأهواؤها.. فتزكوا نفسك وتطهر.. تعرف طبيعة المعركة بين الحق والباطل.. لتخرج بإذن الله أصلب عوداً..وأقوى شكيمة.. وأشد عزيمة.. قمة شامخة .. ثباتٌ حتى الممات.. فتواصل المسيرة المباركة.. مع الركب الأطهار..

۞ الأسير وحفظ القرآن

يبدأ الأسير خطواته الأولى في السجن بالإقبال على كتاب الله...ويفتح الله عليه بالاشتغال بحفظ القرآن الكريم..فيصير الحفظ هو شغله الشاغل وهمه الوحيد.. يستيقظ وينام..ويأكل ويشرب..ولا همَّ له غير إكمال ورده من الحفظ..فينسى كل هموم السجن.. وتتلاشى مع نشوة الحفظ كل المشاغل والغموم..وهذا من رحمة الله ولطفه..

مع الحفظ..يغدو الأسير نَهِماً لا يشبع ولا يملّ..في البداية يكون ورده للحفظ صفحة واحدة يومياً..ثم تبدأ الإنطلاقة الكبرى..أعرف من كان يحفظ (ربع حزب) في اليوم...بل أعرف من تدرّج بورده فصار يحفظ في اليوم الواحد (حزباً كاملاً).. أي كل يومين يحفظ (جزءاً كاملاً)..

وبفضل الله بدأتُ منذ الأيام الأولى مشوار الحفظ..وخرجت من الانفرادي فترة التحقيق وقد حفظت من سورة البقرة إلى آخر سورة المائدة...ومن الطرائف أن المحقق كان دائماًيسألني : أين وصلت في الحفظ؟ ..في الجماعي أكملت المشوار..وبحمد الله وكرمه..مع بداية الشهر العاشر من دخولي السجن كنت قد ختمت حفظ كتاب الله...ومع آخر آية حفظتها..إنتابني شعور غريب..مزيج من الفرح والسعادة..شيء ما سرى في عروقي.. حالة أعجز عن التعبير عنها... سجدت سجدة طويلة .. شكراً لله..

قبل عمليات 11ربيع أول 1424 هـ ..كانت غرف الحائر القديم شبه خالية.. اجتمعت أنا وصاحبي في غرفة واحدة..كنا وحدنا.. وكان هو قد ختم القرآن أيضاً..وضعنا برنامجاً صارماً لتثبيت الحفظ..كان لكل واحد منا ورده الخاص للمراجعة.. ثم لنا برنامج مشترك.. نقوم فيه بتسميع جزأين يومياً.. لمدة أسبوع.. ومع بداية كل أسبوع جزآن جديدان .. ونستمر هكذا حتى نهاية المصحف.. نجلس بعد صلاة العصر ..يبدأ أحدنا بتسميع الربع الأول.. ثم يقوم الآخر بتسميع الربع الذي يليه.. حتى نكمل الجزأين.. بعدها إستراحة قصيرة.. ثم نستأنف.. ولكن نعكس الترتيب..فإذا بدأ صاحبي في المرة الأولى..أكون أنا الباديء في هذه المرة.. استغرقت منا هذه الطريقة قرابة (4) شهور لختم المصحف..

إقبال عجيب من الأسرى على حفظ كتاب الله...سوق قد عُقدت ربح فيها أهل القرآن.. حالات نادرة في السجن ولظروف خاصة لم تتمكن من حفظ كتاب الله... أما أغلبية الأسرى فقد نالت هذا الشرف العظيم.. صار من المألوف في الحائر القديم حفظ القران.. وما كنا نسأل أي أسير نلتقيه .. هل حفظت القرآن؟...لأن الحفظ صار أمراً اعتيادياً جداً.. بل من غير الطبيعي أن تجد أسيراً لا يحفظ كتاب الله...

ولا شك أن هذا فضل رب العالمين على عباده أسرى المجاهدين.. وهو نقلة نوعية .. وأولى خطوات الإعداد الشرعي للأسير..

❁ الأسير وطلب العلم

من نعم الله العظيمة في السجن أن يكون معك في الغرفة طالب علم.. فيقود مسيرة الغرفة علمياً..موجهاً ومرشداً ومعلماً..ولكن هذا الأمر قد لايتوفر دائماً..

أغلب الأسرى اتجه بعد حفظ كتاب الله إلى طلب العلم..في الحائر القديم أقبل الإخوان على حفظ (الجمع بين الصحيحين والزوائد) ليحي اليحي..وسلكوا طريقة (الحفظ بدون مراجعة).. وكانوا يتفاوتون في مقدار الحفظ اليومي..بعضهم يحفظ (10) صفحات يوميا.. وهناك من بلغ بحفظه اليومي إلى (18) صفحة..حيث يختمون المقرر في فترات ..حسب الحفظ اليومي..من (شهرين) إلى(6) شهور..فتكون هذه الختمة الأولى.. ثم يعيد الكرّة.. فيختم الثانية.. ثم الثالثة.. وهكذا.. حتى يصير متقنا حافظا لا يخرم منه شيئا..

هناك قسم آخر من الأسرى اتجه إلى حفظ المتون العلمية.. فسار على البرامج العلمية التي كانت تصلنا من بعض طلاب العلم المأسورين معنا.. أذكر أنه كانت هناك مطوية للشيخ ناصر الفهد (فك الله أسره) يتداولها الإخوان.. يشرح فيها منهجية طلب العلم والمتون الموصى بحفظها في كل فن من فنون العلم..من أجل ذلك اقتنى أغلب الإخوان كتاب (الجامع للمتون العلمية) للشمراني.. وسمعت مسئول المكتبة في الحائر القديم ذات مرة يقول: أنه اشترى للإخوان (400) نسخة من كتاب (بلوغ المرام) لابن حجر.. تحقيق طارق عوض الله..

أكبَّ الإخوان على طلب العلم بنهم وشغف شديدين...والذي يكمل مرحلة الحفظ..يبدأ في إقتناء شروحات المتون التي حفظها تمهيداً لدراستها ..والسعيد من كان معه في الغرفة طالب علم..

كان معي أخ عزيز في الغرفة..في مقتبل العمر..وكان حديث عهد بالسجن..هذا الأخ فتح الله عليه في طلب العلم..فبعد أن حفظ القرآن وأتقنه..أقبل على المتون ..فحفظ أغلبها..ولكنه تميز بشيء لم أجده عند غيره..ألا وهو..أنه حفظ (متن زاد المستقنع) كاملاً وبإتقان.. فقد كان يسمّع عندي ونحن نتمشى في التشميس.. ثم إنه اشترى ألفية ابن مالك ليحفظها.. وحفظ كتاب الجهاد كاملا من المنتقى..أخبرني برغبته في حفظ (الجمع بين الصحيحين والزوائد).. فأهديته نسخة ..تركت الغرفة وقد قطع شوطاً طويلاً في حفظهما..وفقه الله وسدد خطاه..

نعم إنه الخير الكثير من وراء الضر المرير... على جمر المحنة في السجون.. يصقل الأسير شخصيته روحياً..وعلميا..إن أمر المؤمن كله خير..لمن أنار الله بصيرته.

۞ الأسير والعبادة

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99) ﴾.[3]...حسن العلاقة مع الله تعالى هو زاد الأسير الذي يقطع به رحلة السجن الشاقة..وصلته بربه هي الواحة التي يتفيأ ظلالها في صحراء القهر والذل والعذاب..يصبح ويمسي ولا همّ له غير ربه..فلا تضيع أنفاسه في غير مرضاته..ولا يفرِّق همومه في غير محابِّه..يطلب الله بصدق..فيجده..وإذا وجده أغناه وجوده عن كل شيء..نعم ..عن كل شيء..كل ما فقده بالأسر يجده عند الله تعالى، "ابن آدم ..اطلبني تجدني..فإن وجدتني وجدت كل شيء..وإن فتّك فاتك كل شيء..وأنا أحب إليك من كل شيء"..

في السجن..رأيت نماذج تذكّر بالسلف الصالح في التعبد..وعشت مع إخوان أحسبهم من العباد الزهاد..ضربوا لنا أروع الأمثلة في العبادة والقربات.. عاشرت قلوباً طاهرة..ووجوهاً مشرقة.. وألسناً لا تفتر من ذكر الله..

قيام الليل هو دأب غالب الأسرى..لا تكاد تجد أسيراً يفرّط فيه..كنت في إحدى الغرف في السجون الجديدة.. إذا كان ثلث االيل الأخير.. لا تجد مكاناً للتهجد .. فالمكان ضيق.. والجميع قائم يناجي ربه..

---

[3] الحجر

أما صيام النوافل.. فيتفاوتون فيه.. أدناهم من يحافظ على صيام الإثنين والخميس والأيام البيض.. ومنهم من يسرد الصوم فلا يفطر إلا يوم الجمعة.. وقابلت من هو صائم طوال وجوده في السجن ..لا يفطر إلا أيام العيدين والتشريق.. أو في يوم زيارة أهله..

أما كتاب الله تعالى.. فهو أنيسهم وجنتهم.. فهذا يختم في عشرة أيام.. وذاك يختم في أسبوع.. وآخرون يختمون في خمسة أيام.. هو روضتهم يرتعون فيها حفظاً وتلاوةً وتدبراً آناء الليل وأطراف النهار..

أما رمضان ..فله شأن آخر... ينتظرونه بفارغ الصبر... فهو شهر العبادة حقاً.. أغلب الأسرى في الغرف يصلون التراويح جماعة.. ويختمون فيها القرآن.. وأذكر أن الغرفة التي كانت بجوارنا في الحائر القديم..كانت تختم القران مرتين في قيام رمضان.. أما على المستوى الشخصي فلكل واحد منهم تهجده الخاص في رمضان..كان معي أخ عزيز.. يختم القران في تهجده كل ثلاثة أيام.. يقرأ في الليلة الواحدة (10) أجزاء.. وعشت مع آخر في سجن شعار بعسير..كان يبدأ تهجده في رمضان بعد صلاة المغرب مباشرة.. ثم يقطعه لصلاة العشاء والتراويح مع إخوانه .. ثم يرجع فيواصل تهجده إلى قرب أذان الفجر.. ثم يتوقف للسحور.. هكذا طوال شهر رمضان..

وللغرف في رمضان دويٌّ كدويّ النحل.. من تلاوة القرآن.. والمألوف عند الأسرى في رمضان .. ختمة كل (3) أيام.. أحد الإخوان كان يختم كل يومين.. يقرأ في اليوم الواحد (15) جزءا ...فيقرأ (3) أجزاء عقب كل صلاة فرض.. وأعرف

شخصيا من كان يختم القرآن يومياً في رمضان..بل هناك من ختم القرآن في إحدى رمضانات السجن (33) ختمة...اللهم تقبل منهم.. وفك أسرهم..

۞ الأسير والضغوط

يسعى القائمون على إدارة السجون لتدمير الأخ الأسير نفسياً.. وتحطيم معنوياته.. وشلّ قدرته على الصمود.. والقضاء على إرادته.. حتى تنهار قواه الذاتية.. فيخرج من الأسر.. مسخاً مشوّهاً.. فاقداً للهوية.. منحرفاً عن منهجه.. متنازلاً عن مبادئه.. فلا يسلك هذا الطريق مرة أخرى..

ذات مرة قلت للطبيب النفسي في سجن شعار بعسير: أنتم تتعاملون مع نماذج سعادتهم في الابتلاء.. كلما ازدادت عليهم الضغوط لم ينهاروا.. بل فرحوا واستبشروا بأن الله تعالى يحبهم. فهم يوقنون أنّ الله إذا أحب عبداً ابتلاه.. وأشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .. امتقع وجه الطبيب وأسقط في يده..كان من أخبث مَنْ رأيت..

في الحائر القديم.. كانت لنا بعض المطالب من إدارة السجن.. فجاء إلينا رئيس شعبة النزلاء بخصوصها.. وبعد نقاش طويل.. قال لنا في صراحة غير معهودة..إن من رسالة السجن أن تشعر أنك سجين.. وهو يقصد أنه لو تم تلبية كل طلباتك لما كان السجن سجناً.. بل يجب أن تعيش المعاناة.. وأن تُمارس عليك الضغوط...

أغلب ضباط السجون درسوا (علم نفس) ضمن الدورات التي تلقوها.. لذلك يتم استخدام أساليب نفسية.. ووسائل سيكولوجية معينة.. للضغط أو السيطرة على الأسرى.. على سبيل المثال.. قال لنا أحد الضباط.. عندما نرى سقف الطلبات ارتفع عند السجناء.. وصاروا يطالبون بأشياء كبيرة.. مثل فتح الغرف.. أو تعديل بعض أنظمة السجن.. نقوم فوراً بمنع بعض المشتروات في البقالة.. كالصابون مثلاً.. مباشرة يهبط سقف طلبات السجناء من فتح الغرف إلى السماح بشراء الصابون.. وهكذا.. وللعلم الصابون الحجر ممنوع في سجن شعار بعسير حتى مغادرتي إياه...

السجن عبارة عن ضغوط.. في كل شيء.. ابتداءً من الاسم..فأنت عبارة عن رقم عشري.. الاتصال.. الزيارة.. الإعاشة.. الماءالحار.. التشميس.. المستشفى.. مداهمات التفتيش.. الزنازين.. التحقيقات.. التنقل بين الغرف.. طلباتك الخاصة.. التعامل مع العسكر.. القيد.. الكلبشة.. الغمامة..كل ما حولك هو نوع من أنواع الضغوط..

(إصنع من الليمون الحامض شراباً حلواً لذيذاً).. هذا كان شعارنا في السجن.. عدم الاستسلام لتلك الضغوط.. ومواجهتها.. وتطويعها بتقنية بسيطة جداً وهي (التحكم في التفكير).. فمن المعروف أن الشعور بالحزن والأسى االذي تسببه الضغوط ينتج عن التفكير.. فإذا قمت بتغيير اتجاهات تفكيرك عن الضغوط.. ستتغير بلا شك الشعور المتولّد عن التفكير..لأن الشعور هو وليد التفكير...وهذه تقنية ميسورة جداً للمجاهد الأسير..وهي التي ذكرتها للطبيب النفسي..فيتعامل مع

الضغوط على أنها إبتلاءات..ويستحضر في تفكيره ..ثواب البلاء ..وحلاوة الأجر..وعاقبة الصبر..ومحبة الله..فينتقل من الشعور بالحزن أو الألم..إلى الشعور بالفرح..واللذة..والسعادة..

أبدع الإخوان في غرفهم في ابتكار برامج جميلةل لترفيه عن أنفسهم..كان لنا في الحائر القديم..جلسة أسبوعية.. ليلة الخميس.. سواليف.. وأناشيد.. وفوائد.. ومسابقات ثقافية.. هذا فضلا عن الإبداعات الأخرى.. في ترتيب الغرف.. وفي الطبخ.. وفي برامج العيدين..

الأسير يحرص دائماً أن تكون معنوياته عالية بعلو السماء..وأن تكون إرادته صلبة كالصخر ..تتحطم عليها مؤامراتهم..رحم الله أسيراً أراهم من نفسه قوة وصموداً...

❁ الأسير والبرنامج

في السجن يضع الأسير لنفسه جملة أهداف واقعية..يسعى بطموح لتحقيقها خلال فترة وجوده في الأسر...ثم يضع البرنامج المناسب لذلك..مستفيداً من وقت الفراغ الطويل المتوفر في الأسر..ضياع الوقت وعدم إستغلاله هو المهلكة..والداء العُضال...

على رأس البرنامج يتربع (الجانب التعبدي).. فيحرص على أداء الصلاة الخاشعة..التي يُقبل فيها على ربه بقلبه وروحه وجوارحه..ويحاسب نفسه دوماً على التقصير في الخشوع... إن للصلاة الخاشعة تأثيرا عجيبا في طمأنينة النفس وسكينتها..وهما عين ما يحتاجه الأسير...ويحرص كذلك على النوافل والتطوعات عموماً..قيام الليل..والتضرع إلى الله والإستغفار بالأسحار.. وملازمة الذكر.. وقراءة القرآن بوردٍ يومي.. وصيام النافلة..

ثم يأتي (الجانب العلمي).. فيسير وفق منهجية معينة ...يبدأ بحفظ القرآن.. ثم يتجه إلى حفظ المتون التي أوصى بها أهل العلم.. ثم بعد ذلك يجتهد في دراسة شروحاتها...

ثم تأتي (القراءة الحرة).. في أنواع المعارف.. لتوسيع مداركه.. وزيادة حصيلته الثقافية.. وقد عرفت في السجن إخواناً لا يفارق الكتاب أيديهم.. وبعضهم جعل لنفسه مقداراً يومياً (100) صفحة كحد أدنى.. وأعرف من ختم (مجموع الفتاوى) لابن تيمية في أقل من سنة..

وأخيراً يأتي (الجانب الرياضي).. فمع طول السجن يترهل الجسم وترتخي العضلات.. فيتدارك الأسير ذلك بممارسة التمارين الرياضية وفق جدول مدروس وبانتظام..

أصحاب البرامج في السجن.. هم في نعيم دائم.. قد أشغلتهم برامجهم عن مشاكل السجن وهمومه.. وقطعت عليهم حتى التفكير في الخروج.. هم في سعادة وراحة بال.. يعرف ذلك من عاش التجربة وذاق حلاوتها...

❁ الأسير والسحر

في زنزانتي الإنفرادية في الحائر الجديد..كنت مستلقياً على فراشي.. مستمتعا بهدوء المكان .. بعد عناء يوم طويل من إزعاج العسكر.. بدأ النعاس يتسلل إلى جسدي..حان وقت النوم.. الساعة تقترب من الثانية عشر ليلاً.. باب الزنزانة المجاورة يُفتح ثم يُغلق.. يبدوا أنهم أدخلوا أحداً فيها.. لقد كانت خالية في الأيام الماضية..بدأت بقراءة أذكار النوم..ولكن فجأة..سمعت صوتاً يناديني.. يبدو أنه الجار الجديد..

إتجهت ناحية الصوت.. الوقت مناسب للحديث.. فرقة العسكر الجديدة استلمت.. وأخذوا (التكميل) أعداد السجناء.. أسمع أصواتهم وهم يتضاحكون.. هذا يعني أنهم خارج غرفة التحكم (السداسية).. اللهم اكفني الكاميرا والسمّاعة.. منذ فترة طويلة لم أتحدث إلى أحد من الإخوان.. توكلنا على الله..

السلام عليكم..من معي؟ ..كان في مقتبل العمر لم يتجاوز عامه الثاني والعشرين... دافئ الصوت..حنون الأنفاس.. هاديء العبارات.. نشأت بيني وبينه ألفة عجيبة..كنت أتحدث إليه يومياً.. أذانه حزين.. في صوته بحّة تشدّك إليه.. حديث عهد بالسجن. أُعتقل شقيقاه معه .. قضيته من العيار الثقيل (حزام ناسف)..

طلبه المحقق ليسأله عن (مقاطع) في جواله.. أخذوه من جماعي الحائر الجديد إلى سجن المديرية..مكث هناك أسبوعين في زنزانة.. على البلاط.. لا فراش.. لا بطانية.. بالسروال والفانلة.. بدون ثوب.. في شتاءٍ قارس.. شغلوا المكيف.. وضعوا الكلبشات في يديه.. والقيود في رجليه.. يتوضأ.. يصلي.. ينام.. يأكل ..بهذه الوضعية..بعد أسبوعين.. أرجعوه.. ليس إلى مكانه في الجماعي..بل إلى الانفرادي..كان يقول لي باستمرار..لا تنسَ إخواننا في المديرية من الدعاء..إنهم يُسامون أشدّ العذاب..

روى لي قصة غريبة..قال:وأنا في زنزانة المديرية..تحدثت معي..(جنية) .. نعم (جنية)..قالت..(ربك ما ينفعك..ما ينفعك إلا أنا)..والعياذ بالله..كان يشكو من كثرة الوساوس والهواجيس..أوصيته ببعض الأمور.. منها المحافظة على أذكار الصباح والمساء.. وقراءة آية الكرسي والمعوذتين دبر كل صلاة.. وقراءة سورة البقرة كاملة يومياً.. فإن أخذها بركة.. وتركها حسرة.. ولا يستطيعها البَطَلة أي (السحرة)...

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[4] ..مهما كان كيد المحققين في استعمالهم السحر ضد الإخوان.. فهو كيد ضعيف..لا يلبث أن يزول ويتلاشى أمام كلام رب العالمين.. والسحر في الأسر حقيقة ملموسة .. عانى منها بعض الأسرى.. ثم أنعم الله عليهم بالشفاء..

[4] النساء 76

۞ الأسير والتواصل

قامت السجون الأمنية على نظرية (العزل)... أي عزل الأسرى عن بعضهم البعض.. ومنع أي وسيلة للتواصل فيما بينهم.. لا لقاءات.. لا زيارات..لا أحاديث متبادلة..حتى إلقاء السلام ممنوع..كل ذلك من أجل تسهيل السيطرة على الأسرى.. وزيادة الضغط النفسي عليهم.. والحيلولة دون إستفادة الأسرى من بعضهم البعض..

(العزل) نوعان...(عزل إنفرادي).. في غرفة مساحة الواحدة منها (2.5×3م).. يوضع فيها من يشكل خطورة فكرية على باقي الأسرى –حسب زعمهم– وأغلب المشائخ يعانون هذا النوع من العزل منذ سنين.. وقد عُزلت شخصياً مرتين..الأولى في سجن ذهبان.. لمدة سنة وخمسة أشهر.. والأخرى في سجن شعار بعسير لمدة سنة كاملة.. النوع الآخر من أنواع العزل هو (عزل جماعي).. فإن هذه الغرف التي يسمونها (جماعي) هي في حقيقتها زنازين ولكن بحجم أكبر..(6×5م).. يوضع فيها مجموعة من الأسرى.. ويتم منعهم من التواصل مع بقية الغرف.. ويتعرضون لأشد أنواع العقاب عند المخالفة.. يمكث الأسرى في غرفهم طوال الوقت.. بالشهور والسنين.. يخرجون للتشميس مرتين في الأسبوع.. لمدة ربع ساعة .. قد تزيد أو تنقص حسب مزاج العسكري.. عدا ذلك .. يمنع الخروج إلا لأمر هام.. زيارة عائلية أو عيادة.. أو تحقيق.. ونحو ذلك.. لهذا على مدخل جناح (3) في الحائر القديم وهو المعروف أنه جناح الجماعي.. مكتوب باللغتين العربية والإنجليزية (الزنزانة الشرقية التي تسع لعشرة أشخاص)..

سعينا جاهدين.. متوكلين على الله تعالى لكسر هذا الحصار المفروض علينا.. وإزالة حواجز العزلة المضروبة حولنا.. وهدانا الله تعالى برحمته وكرمه.. لابتكار وسائل وطرق للتواصل فيما بيننا... نظام السجن نظام أمني صارم.. ولكنه في النهاية جهد بشري.. فيه ثغرات ونقاط ضعف.. إستطعنا في الحائر القديم بفضل الله إنشاء شبكة للتواصل بالرسائل.. طبعا الأقلام ممنوعة.. ويتم تهريبها من الخارج.. أما الأوراق.. فكنا نكتب على كل شيء قابل للكتابة.. من خلال هذه الشبكة كنا نتواصل داخل الجناح الواحد.. ثم تم تطويرها للتواصل مع الأجنحة الأخرى.. بل إننا نجحنا–بفضل الله–في فترة من الفترات في التواصل مع الإخوان المحبوسين في سجن النساء.. والذي عاش في الحائر القديم يعرف كم هو بعيد سجن النساء عن الأجنحة المركزية...

إستدعاني ذات مرة رئيس شعبة النزلاء في الحائر القديم.. قال لي: غرفتكم معروفة لدى ضباط الأجنحة والرقباء والعسكر أنها غرفة البريد !!.. كانت شبكتنا أحياناً تُكتشف.. فيتم تفعيل الشبكة البديلة.. وأحياناً..تكون الضربة قاصمة.. لا تبقي ولا تذر.. فنبدأ من الصفر.. بهدوء ونَفَس طويل.. في إنشاء الشبكة من جديد..كأن شيئاً لم يكن..

تبادلنا الرسائل.. والقصائد.. والطرائف.. والهدايا.. واختراعات السجناء.. كانت الأخبار والمستجدات تُنقل أولاً بأول.. كان بيننا.. طلاب علم.. وأدباء.. وشعراء.. وأصحاب تجارب..وأهل خبرات..تعرفنا على كثير من الأحباب دون أن نراهم..ونشأت بيننا علاقات أخوية راسخة متينة...ظهر ما عُرف بأدب

السجون..كانت الرسائل منظومات بديعة.. من الأدب الراقي.. والعبارات العذبة.. والكلام الرائع.. الجميل الموزون..كُتبت بماء القلب.. قبل أن تُكتب بحبر اليراع.. حملت في طياتها.. مشاعر جياشة.. وأشواق حارة.. وأحاسيس صادقة.. كثير من الإخوان قام بتهريب رسائله إلى خارج السجن.. ليحفظها في صندوق الذكريات..

❁ مع المحقق

أنا الآن على أعتاب (السنة الثانية عشرة) لدخولي السجن..تقدمت بطلب لمقابلة المحقق..للإستفسار عن وضعي..بعد أسبوعين.. إستدعاني المحقق.. اقتادني العسكري من زنزانتي في الحائر الجديد..إلى الحائر القديم.. معصوب العينين.. مُكلبش اليدين.. خلال دقائق معدودة وصلنا بالسيارة (الفان) مبنى الحائر القديم.. كانت المسافة بينهما قريبة.. على مدخل الحائر القديم.. وكنت قد غادرته منذ ستّ سنين.. هاجت المشاعر.. وانداحت الذكريات .. هنا كان الأحبة.. غبت مع أشواقي الدفينة.. رُحتُ أقلب دفاتري القديمة.. لم أنتبه إلا على صوت العسكري يطلب مني صعود الدرج.. نبهته إلى وجود مصعد صغير.. إستغرب الأمر..كان جديداً في العمل...

المكان موحش.. الطرقات كئيبة.. الإضاءة صفراء باهتة .. دخلت غرفة التحقيق.. نفس الأساليب القديمة البالية.. يستدعيك المحقق منتصف الليل.. ويجعلك تنتظر ساعة أو ساعتين.. المحقق المسئول عن قضيتي هلك قبل سنوات.. الإنتظار مملّ.. ولكن قد تعوّدنا عليه.. بضع آيات تقرؤها تنزل عليك السكينة..

أخيراً ظهر المحقق..تأخرت عليك؟! ..لا..أبداً.. خذ راحتك..!! سألته عن وضعي.. تحدث كثيراً..هرف بما يعرف وبما لا يعرف.. خطرت لي فكرة وهو يتكلم.. أطلب منه مقابلة أخي (فلان) معي في القضية لم أره منذ سنوات.. أجرّب

.. لعلّ وعسى.. نظر إليّ مستنكراً طلبي.. ثم قال: لا زلت في ضلالك القديم.. ضحكت في أعماق نفسي من جوابه...

كنا في بدايات إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام.. عاد المحقق إلى الثرثرة من جديد.. منتشياً بعد أن رفض طلبي..قال لي: هؤلاء الشباب–يقصد الأسرى– الذين جاؤوا بعدكم صغار سنّ.. لا يعرفون الأصول الثلاث ولا القواعد الأربع.. وأنا عندي ماجستير في الشريعة.. قلت له: إذا كان عندك ماجستير فالبغدادي عنده دكتوراه..قال لي: من البغدادي؟! قلت: أما تعرف البغدادي..أمير (داعش)..؟!فاحتار وسكت... ثم استدعى العسكري.. وأمره بإرجاعي إلى الزنزانة..قال وهو يوقّع على ورقة العسكري: يا عسكري هذا يكفّرنا ويكفّر العاملين في هذا الجهاز..

مرّت ثلاث سنوات على هذه المقابلة.. إلتقيت خلالها الكثير من هؤلاء الشباب الذين تحدث عنهم المحقق.. إنهم الجيل الجديد.. الحاملون جراح أمتهم.. الباذلون دماءهم في سبيل ربهم.. أحتقر نفسي بينهم.. أرمقهم إجلالاً وإكباراً.. فتنوا روحي شجاعة وإقداماً.. نفضوا عني غبار السنين حماسةً وتوهّجاً.. شباب في عمر الزهور.. أزهار رُبى بل آساد شرى .. صغار في السن.. كبار في الهمم.. قمم شامخة في الفداء والتضحية.. هم الأولياء الصالحون.. والمجاهدون المتقون.. أحسبهم كذلك.. ولا أزكي على الله أحداً...

۞ الغرفة 116

الذكريات هي صدى السنين الحاكي..تظل تتردد في دواخلنا..بعض الأمكنة لها رحيق..يعبق في أعماقنا عبر الزمن..الغرفة (116)..الجناح (3) .. السجن (الحائر القديم).. من أجمل الغرف التي عشت فيها..مكثت فيها عدة سنوات..أخرجتني منها إدارة السجن بحيلة ماكرة إلى (العزل).

أجمل سنوات السجن كانت فيها.. أحلى الذكريات .. وأسعد اللحظات.. هذه الغرفة قدمت (4) شهداء نحسبهم كذلك.. ضمن الثلة المباركة من أهل السنة المجاهدين الذين تم إعدامهم في السبت 22/3/ 1437 هجري.. تقبلهم الله.. وهم ناصر بن علي القحطاني (أبوسارة).. وأخوه فهد بن علي القحطاني (أبوعلي) ..ومعيض القحطاني (عبيدة).. وفكري علي فقيه (خلاد).. رحمهم الله..

كانت تربطني بأبي سارة علاقة أخوية خاصة جداً.. وبيني وبينه مودة من شذى الآخرة.. وأحمل له في قلبي محبة يعجز اليراع عن وصفها.. كان توأم الروح.. وقرة العين..وحبّة الفؤاد..كان شقيقي بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ..شهدت تلك الغرفة جلساتنا وأحاديثنا وأسمارنا..فما أجمل ذاك الزمان..وما أحلى تلك الأيام..كان رحمه الله مثالاً للأخوة الحقة..قمة في مكارم الأخلاق..شهد العسكري الذي حضر إعدامه أنه خرجت منه رائحة المسك.. رحمه الله وتقبله في الشهداء..

أما أخوه (أبوعلي)..فلم ترَ عيناي مثله في التعبد والانقطاع إلى الله والإقبال عليه.. العابد الزاهد.. التقي النقيّ.. أحسبه كذلك..كان مصحفاً يمشي على الأرض.. صواماً قواماً متبتلاً.. في عام 1430هجري.. رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت.. والناس صفوف للحساب.. ورأيت عائشة ﵂ تقول..يا (الله) تعال أمامنا حتى نراك.. فقال سبحانه وتعالى: نعم سآتي.. ثم قال : قم يا (أباعلي) فصلِّ بالناس.. رحمه الله وتقبله في الشهداء..

أما (عبيدة).. وما أدراك ما عبيدة.. الأسد الهصور.. الهيّن الليّن السهل مع إخوانه.. وديع معهم كالسحاب يسقي من يحب ومن لا يحب... رجل المهمات الصعبة.. صاحب بذل وتضحية في سبيل الله.. قدّم الكثير للعمل الجهادي في بلاد الحرمين.. وتحمّل صعوبات التأسيس في صبر وجَلَد.. رحمه الله وتقبله في الشهداء..

وأما (خلاد).. فهو فاكهة الغرفة وريحانتها..من قدامى المجاهدين.. ومن أبطال مداهمة شقق (الروشن) عام 1423 هجري .. حلو المعشر.. ليّن العريكة.. حسن الخلق.. رآه أحد الإخوان بعد مقتله.. فقال له (خلاد): ما أحلى القتل في سبيل الله...رحمه الله وتقبله في الشهداء...

فَدَت نفسي وما ملكت يميني..

فوارسَ صَدَقت فيهم ظنوني..

فوارس لا يهابون المنايا..

إذا دارت رحى الحرب الزبونِ..

۞ الأسير والأخوة

الأخوة في الله روْح وريحان .. يعرف معناها منْ ذاق طعمها .. وجرّب حلاوتها .. وفي السجن تتجلى معاني المحبة في أرقى صورها .. لتعبّر عن صدق الأخوة .. وحقيقة الألفة .. وعمق الإخاء .. وديمومة المودة .. سطّر الأسرى صحائف من نور ..كتبوها بمداد مشاعرهم .. سجلوا فيها .. أروع وأجمل قصص الإخاء .. إجتمعوا على الحب في الله .. وتآلفت قلوبهم على طاعة الله .. كتلة متراصة متآخية .. ذلول بعضها لبعض .. محب بعضها لبعض .. متآلف بعضها مع بعض.

في غرف الأسرى .. تجد التنافس الشديد بين الإخوان على (الخدمة) .. غسل الأطباق .. تنظيف الغرفة .. غسل دورات المياه .. إستلام الوجبات .. مسح السفرة .. وغير ذلك الكثير .. يتسابقون في خدمة بعضهم البعض .. يرحمون صغيرهم .. ويوقرون كبيرهم..

كان معنا (أخ) فاضل من خيار الإخوان .. وكان (ضريراً) .. فقد بصره في معارك العراق .. أيام الزرقاوي رحمه الله .. كان أحرصنا على الخدمة .. أنار الله (بصيرته) .. هو الذي يستلم الوجبات .. ويغسل دورات المياه .. وكنا معه في (شد وجذب) بسبب ذلك .. ولكنه يرفض إلا أن يخدم إخوانه رغم مايعانيه من فقدان البصر .. ما أطيبه وأرقّه وألينه .. أما إذا حمِيَ الوطيس مع (العسكر) .. لا تجده إلا أسداً هصوراً .. كان (العسكر) .. يخشونه و يهابونه .. يعرفون أنه إذا غضب لا يقوم لغضبه شئ...

جرت العادة في الغرفة .. بعد (الاتصال الأسبوعي) .. أن يتحلق الإخوان في حلقة كبيرة .. ثم يبدأ كل أخ بسرد أخبار أهله التي سمعها في الاتصال .. وأحوالهم .. وكافة شئونهم .. ينصت الجميع باهتمام ويتابعونه ويسألونه ويطمئنون على أهله .. كنا (أسرة واحدة) .. نحفظ أسماء عوائلنا .. ونعرف دقائق أخبارهم .. نتناقش في مشاكلنا الخاصة .. نتشاور حولها .. ونضع لها الحلول..

نماذج ربانية .. وصور رائعة .. من التعاون والتآزر .. والتكافل والمواساة .. يتفقد الإخوان أحوال بعضهم البعض .. يقضون حاجة المضطر .. ويواسون الحزين .. ويتعاونون على نوائب الحق .. ففيهم الغريب .. والفقير .. وذو الحاجة .. يطمئنون عليهم .. ويطيبون خواطرهم .. ويقضون حوائجهم .. تذوب الفوارق .. وتتلاشى الهموم الفردية .. همّنا واحد .. ومصيرنا مشترك .. قمة التكافل المادي .. والشعوري .. وأرقى صور الإيثار والتجرد..

(أخ إيرلندي) .. مشلول يستخدم يداً واحدة فقط .. عشت معه في غرفة واحدة فترة من الزمن .. كان يقوم على خدمته .. أحد الإخوان .. يعتني بجميع أموره .. ويخدمه كما تخدم الأم وليدها .. في مشربه ومأكله .. ونظافته وقضاء حاجته .. برحابة صدر .. وطيب نفس .. وهمة عالية .. تعلمت منهم كيف يكون الإخاء .. والصبر .. والجَلَد .. ما أعظم تلك النفوس .. وما أكبرها .. إخوة أحبة كرام..

مكثت في بعض فترات السجن قرابة (خمسة أعوام)بدون زيارة .. لا أنسى تلك الليلة .. إستدعى المحقق أخي الشهيد ناصر بن علي القحطاني – رحمه الله– ليسأله عن بعض الأمور في قضيته .. وفي نهاية الجلسة .. أخبره بصدور قرار وزارة الداخلية

بالسماح لأهلي بزيارتي على حساب الوزارة .. عاد ناصر إلى الغرفة .. كانت الساعة حوالي العاشرة مساء .. وجدني نائماً .. بشّر ناصر الإخوان في الغرفة بخبر الزيارة .. ثم جلس بجواري وأنا نائم .. وظل هكذا طوال الليل ينتظر إستيقاظي .. حتى قمت قريب الفجر .. لأجده متهللاً فرِحاً .. يبشرني بخبر الزيارة .. فقد كان بيننا من الودّ ما الله به عليم .. رحمه الله وتقبله في الشهداء..

ومن صور الوفاء التي لن أنساها .. (أخ سوداني) .. عاش معي في غرفة واحدة .. حرمه الطواغيت في السجن (9) سنوات من رؤية والديه وزوجته وأطفاله .. عندما أطلق سراحه .. وسافر إلى السودان .. إتجه مباشرة من المطار إلى منزلنا .. للسلام على والدي ووالدتي .. وذلك قبل أن يذهب إلى بيته .. وقبل أن يرى والديه .. بعد هذه السنين الطوال .. إنه وفاء الرجال..

هذا غيض من فيض .. وقطرة من بحر .. ولو إسترسلت في الكتابة لما وسعتها هذه السطور .. من ذا الذي يستطيع أن يعطي تلك الأسود الرابضة حقها ..أصحاب المبادئ والقيم .. الثابتين على عهودهم .. الواثقين بنصر ربهم .. رغم الظلام الحالك .. والضيق الشديد .. والكرب العظيم .. اللهم إنا نشهدك أننا نحبهم فيك .. اللهم فرج عنهم .. وفك أسرهم .. واجعل لهم من كل هم فرجاً .. ومن كل ضيق مخرجاً..

۞ خواطر متفائل

(الأغلبية الصامتة المجاهدة)

السواد الأعظم..

هؤلاء الذين صمدوا صموداً تنوء به الراسيات..

من سيماهم..

حفظ اللسان..

سلامة الصدر..

العمل بصمت..

طاعة الأمير..

الحياء الجمّ والأدب الرفيع..

الحرص الشديد على البقاء داخل الجبهات..

النفور من جوّ الراحة والدعة..

الأغلبية الصامتة المجاهدة ..وهي تمارس عبادة القتال ..وتؤدي فريضة الجهاد ..في مسيرتها المباركة ..ورغم ماتعانيه من أهوال ومحن ..ورغم ما تكابده من صعاب

ومشاق..تسير وهي تتطلع إلى السماء..تعلقت قلوبها بخالقها..ورفرفت أرواحها في الملأ الأعلى ..وحلّقت مع الطيور الخضر ..تسير بأشواقها المجنحة ..لا تبالي بمشقات الطريق.. تستحلي المحن ..وتستعذب العذاب..يحدوها الأمل في الخلود الأبدي..كلما حانت منها إلتفاتة الى الدنيا..أو أرهقها طول المسير..تذكرت أحبابها..حبّات القلوب..شهداءها السابقين..فجدّت في المسير..وشمّرت عن همة العمل..عساها تلحق بهم ..فالموت كان أمنية ..إختار من صفوفنا.. أحبَّ مَنْ رأتْ عيوننا ..إختار من صفوفنا الكبار ..إختار من صفوفنا الرجال ..أحبة وصفوة كرام.. تحية لهم سلام..

۞ خواطر أفغاني

...(ستُكتب شهادتهم ويُسألون)...

الجهاد الأفغاني..كان وسيظل مدرسة للأمة الإسلامية..فهو أول ساحة يجتمع فيها مثل ذلك العدد لممارسة الفريضة الغائبة بعد عقود من تأصيل القعود عن الجهاد في سبيل الله .. عندما نقرأ(كتابات)الناس عن تلك الحقبة .. علينا استدعاء الظرف التاريخي .. ومحاكمة القضية ضمن ذلك السياق .. الفسيفساء التنظيمية .. حالة النضوج الفكري .. تجذّر المنهج الشرعي .. إستيعاب ماهيّة القضية .. الجماعات الإسلامية .. اللعبة الإقليمية والدولية ..الحرب الباردة .. وأخيرا .. تقاطع المصالح ...

كانت (بيشاور) ..ساحة متحركة .. الجميع يعمل فيها ..الصادقون المخلصون .. على شتى إنتماءاتهم .. ولكنها أيضا كانت مرتعاً صالت وجالت فيه المخابرات العالمية .. هذه الساحة ستتكرر في أي مكان تُرفع فيه راية الجهاد .. السعيد من وُعظ بغيره .. وتعلم واستفاد من التجربة الأفغانية...

في النهاية .. ما يهمنا .. هو المآلات .. والنتائج .. العدو والمكر العالمي أراد أمراً بل أموراً.. ويأبى الله إلا أن يتم نوره .. فينداح الجهاد .. وينتشر المجاهدون في كل بقاع الأرض .. بفضل الله .. ثم ثبات الأغلبية الصامتة المجاهدة .. داخل أفغانستان .. التى كانت تنأى بنفسها .. عن (بيشاور) .. وصراعاتها .. ومؤامراتها .. ثلة صابرة محتسبة .. متوكلة على ربها واثقة بنصره .. منها خرجت قوافل

المجاهدين إلى مصر .. والجزائر .. وليبيا .. وطاجكستان .. والبوسنة .. والشيشان .. وارتريا .. وغيرها..

الأغلبية الصامتة المجاهدة ... تتعبد الله تعالى بالدليل .. تتقرب إليه بواجب الوقت .. وفريضة العصر .. الجهاد في سبيل الله .. دفاعاً عن المستضعفين .. واستنقاذاً لأسارى المسلمين .. وسعياً لإقامة دولة الاسلام التي تقيم شرع الله..

العالم أو الداعية أو الرمز .. يمرّ في حياته بمحطات .. مثله مثل أي شخص آخر .. تتشكل لديه خلال هذه المحطات قناعات ورؤى .. قد يغيّر ..أو يتراجع .. أو يراجِع .. نحن نرمق محطته الأخيرة .. التي يتوقف عندها .. وهناك نتعرف على قناعاته .. ونعرف صموده وثباته .. ولنتذكر قول (سيد) رحمه الله .. إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج..

الكثيرون كتبوا عن تجربة (الجهاد الأفغاني)..

لا أخشى مثل هذه (الكتابات) .. لعل من يقرؤها يخرج منها بفائدة .. أو يحصل عنده وعي من نوع خاص .. أما (الكاتب) .. فهي شهادته .. سيُسأل عنها يوم القيامة .. أيها المجاهدون..

أيتها الأغلبية الصامتة ..

سيروا على بركة الله..

❁ خواطر حزين

... مصاحبة (الرمز) ...

يظل (الرمز) نجماً في سمائنا .. مصباح هدى .. ونور دجى ..وقبلة يُهتدى به .. تتطلع إليه الأفئدة .. وتشرئبّ إليه الأعناق .. يشعّ في قلوبنا هالة من ضياء .. وشعلة من سَنا .. يذكّرنا مدرسة النبوة .. وعبق الصحابة .. وألَق السلف الصالح.

لكنّ الرحلة إلى (الرمز) .. محفوفة بالمخاطر .. والإقتراب منه سلاح ذو حدين .. ومصاحبته غير مأمونة النتائج .. والعيش في (حماه) مجهول العواقب .. ومن حام حول (الحمى) أوشك أن يرتع فيه..

كان الشيخ أسامة رحمه الله .. بحراً لا تكدّره الدّلاء .. مَعِيناً لا ينضب .. وعَيْناً لا تغور .. غديراً ينساب علماً و أدباً .. كلما اقتربتَ منه زاد حبك له .. وكلما عاشرته نما إعجابك به .. لا تملّ مجالسته .. ولا يروي ظمأك طولُ البقاء معه .. كلما غادرتَه إشتقت إليه .. تحنّ إليه حنين الوالِهِ المشتاق..

عشتُ معه في حلّه وترحاله .. وكنت معه في صحْوه ومنامه .. نمنا في خندق واحد .. وأكلنا على سفرة واحدة .. وسافرنا في رحلة واحدة .. كان رحمه الله .. نسيج وحده .. لا ترى منه قطّ ما يشين الرجولة .. أو يخرم المروءة .. في كل أفعاله وأقواله .. حتى في سواكه..

قمة الأدب .. وروعة الأخلاق .. وملاحة الرجال .. وعذوبة المنطق .. وحلاوة الإخاء .. وهيبة القائد .. كان رحمه الله .. مدرسة يُتعلّم منها .. وقدوة تُقتفى آثاره .. تجسّد فيه هدي محمّد ﷺ .. القرب منه .. قربٌ من آثار السلف الصالح .. والعيش في كنفه .. عيشٌ في رياض مكارم الأخلاق .. لا ولن أوفّيه قدره .. لذلك كان بحق وحقيقة .. رمزاً وقدوة .. علماً يهتدي به السائرون .. ونجماً يستضيء به السالكون..

وعلى شطّ النهر الآخر .. يقف النقيض .. فالضدّ يظهر حسنه الضدّ .. (رمز) .. طار بذكره الركبان .. ملأ الكون خطابة وكتابة .. عظّمته النفوس .. وأجلّته القلوب .. وبوّأته مقام (القدوة) .. وصار لديها من (الكبار) .. تقترب منه .. تعيش في كنفه .. تختلط به .. فتجد فيه .. (أخلاق الصغار) .. و (اهتمامات الصغار) .. و (أفعال الصغار) .. عندها .. تهتز لديك صورة (الكبير) .. وتتلاشى هالة (القدوة) .. ويذوب احترام (الرمز) ..

تُصاب بالصدمة .. وتشلّك المفاجأة .. وتعلوك الدهشة .. البوْن شاسع .. بين القول والفعل .. تغالب نفسك .. تضغط على أعصابك .. تحاول جاهداً .. أن تقرأ أو تسمع له .. إنه الفصام النكد .. (تصرفاته الصغار) .. تلقي بظلالها عليك .. لم يَعُد لكلامه ذلكم السحر الأخّاذ .. ولا التأثير الجذّاب .. لقد خَبَا وَهَجُ (الفرْقد)..

سبحان الله الخالق الباريء .. كما قسّم الأرزاق فقد قسّم الأخلاق .. قال بعض السلف .. (ما أسرّ عبد سريرة .. إلا أظهرها الله على صفحات وجهه .. وفلتات لسانه)..

أيها (الرمز) .. هل تعود .. أم أنّ الطبع يغلب التطبّع .. عندما يقترب منك الناس .. يسبرون غوْرك .. وإذا صدمتهم الحقيقة المرّة .. مرارة العلقم .. يغادرونك .. وعندما تغادرهم .. لن يبكي عليك أحد..

❁ خواطر شجِيّ

في مدينة (ميران شاه) الباكستانية .. الحدودية .. ونحن نستعد للدخول إلى الجبهة ..وكنا وقتها صغاراً في السنّ .. التقينا الشيخ عبدالله عزام رحمه الله.. في (المضافة) ..فرحنا به فرحاً عظيماً.. فقد كان لنا بمثابة (الوالد) .. ونِعْمَ (الوالد) هو..تحلّقنا حوله.. وكان بين يديه.. رسالة (أفراح الروح) .. لسيّد رحمه الله .. وعلى غلافها كان رحمه الله يسجّل سيرة أحد الشهداء .. لينشرها فيما بعد في مجلة(الجهاد) ..كما هي عادته .. حدثنا رحمه الله.. عن الرسالة .. وعن مناسبته.. ثم سألَنا بحنان الأب.. لما رأى صغر سنّنا.. هل اشتقتم إلى آبائكم وأمهاتكم ؟

فقلنا.. نعم..

فقال.. لو أن أحدكم أراد أن يرجع إلى أهله .. كم يقضي من الزمن حتى يصل إلى داره ؟..

قلنا.. يحتاج عدة أيام.. وربما يستغرق أسبوعاً ..

فقال رحمه الله .. أنتم الآن تتأهبون للدخول إلى الجبهة.. احرصوا على الشهادة ..فمن يُقتل منكم تمرّ عليه الحياة الدنيا..كصلاة ظهر .. أو كصلاة عصر.. فيرى أهله.. أسرع مما لو رجع من هذا المكان..

رحمك الله يا شيخ الجهاد .. نِعْم المربّي كنت.. تعيش معه.. فيزرع فيك.. حب الجهاد.. ويغرس فيك.. عشق الشهادة .. حريّ بكل مَنْ أراد الثبات على هذا

الطريق.. أن ينهل من كتبه وخطبه.. فقد كان بحق .. فارس الجهاد.. وأسده الهزبر ..وطوْده الشامخ..

أجد الملامة في هواكَ لذيذةً حباً لذكركَ فَلْيَلُمْني في هواكَ اللُّوَّمُ...

❁ خواطر غريب

....(ليوث الحق)....

هذا السواد الأعظم من المجاهدين..

هؤلاء الفتية.. الذين حملوا أرواحهم على أكفّهم.. الغرباء.. الأطهار.. المنتشرون في الجبهات.. قتالاً ورباطاً.. صامتة ألسنتهم عن كل باطل.. تركوا القيل والقال ..والخوض في الخلافات.. لزموا غرزهم.. واستمسكوا بميراث نبيهم.. صلى الله عليه وسلم.. الأغلبية الصامتة المجاهدة.. الأتقياء.. الأنقياء.. الأخفياء..

غامضون في الناس فلا يشار إليهم بالأصابع.. طاهرون في ألسنتهم فلا يغتابون عباد الله.. أفئدتهم كالطير...رقة ورحمة للمؤمنين.. تعلوهم مهابة..وتكسوهم عذوبة وملاحة.. أحسنوا عبادة ربهم في السرّ.. أطاعوا أمراءهم بالمعروف.. ياسروا الشريك ..وأنفقوا الكريمة.. واجتنبوا الفساد.. غضيضة عن الشر أعينهم.. بطيئة إلى الباطل أرجلهم.. منحنية على أجزاء القرآن أصلابهم.. أسهروا ليلهم حراسة لله وتهجدا ..وقضوا نهارهم خدمة وصياما.. هم السواد الأعظم في هذا الركب.. خافوا فأدلجوا ..

قد لاحت منازلهم.. فجدّوا لها المسير.. إذا شَكَت من كلال السير أوعدها.. روح القدوم فتحيا عند ميعاد.. النزّاع من القبائل.. والجماعات.. والتنظيمات.. مصابيح الدجى.. وأنوار الهدى.. إذا حضروا لم يؤبه لهم.. وإذا غابوا لم يفتقدوا..لا يشار

إليهم بالبنان.. قلّت مواريثهم.. قلّت بواكيهم.. إنما تُنصرون وتُرزقون بضعفائكم ..بإخلاصهم.. وصلاتهم.. ودعائهم..

✿ خواطر قاعد

في الكتاب والسنة.. نصوص كثيرة.. تحث على الجهاد.. وترغّب فيه .. وتحضّ عليه..كل نصّ منها كافٍ لوحده.. أن يجعل أصحاب القلوب الحيّة .. تطير إلى أرض النزال .. تبتغي الموت مظانّه.. قال ﷺ.. (والذي نفس مُحَّد بيده ، لولا أن يشُقَّ على المسلمين ، ما قعدت خلاف سرية تغزوا في سبيل الله أبدا).. إلى أن قال .. (والذي نفس مُحَّد بيده ، لوددتُ أن أغزوَ في سبيل الله فأُقتل ، ثم أغزوَ فأُقتل ، ثم أغزوَ فأُقتل) ..

بين يدَيْ هذا الحديث .. تقف طويلاً .. متأملاً .. متفكراً .. متدبراً.. مستلهماً الدروس والعِبَر .. فهل بعد ذلك يطيب القعود عن مواطن الجهاد ؟ ..هل بعد ذلك نرضى بالحياة الدنيا من الآخرة ؟..هل بعد ذلك نرضى أن نكون مع الخوالف؟ ..

أما نخشى أن نكون ممن كره الله انبعاثهم.. فثبّطهم.. وقيل اقعدوا مع القاعدين.. إنّ أشد العقوبات الإلهية عدم التوفيق للطاعات .. جاء رجل إلى الحسن البصري

يسأله.. يا أبا سعيد.. أعياني قيام الليل .. فما أطيقه.. فقال:يا ابن أخي ..استغفر الله وتبْ إليه.. فإنها علامة سوء.. وكان يقول: إن الرجل ليذنب الذنب فيُحرم به قيام الليل.

فإذا كان الحرمان من نافلة ليست واجبة بسبب ذنب .. فما هو الذنب.. الذي يسبِّب الحرمان.. من فريضة الجهاد ؟..

❁ خواطر كويتي

في حياة كل واحد منا .. رفقة صالحة .. وثلة مباركة.. هم حبّات القلوب ..إصطفاهم إخوة له ..يسيرون معه على هذا الطريق.. يشاركونه الألم والأمل.. في قافلة الجهاد.. منهم منْ قضى نحبه.. ومنهم من ينتظر.. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. ما بدّلوا .. وما غيّروا.. ولا هانوا .. ولا استكانوا.. إتخذ الله منهم شهداء .. يكفي.. أن يمرّ طيف أحدهم بالخاطر .. فينتفض القلب ..شوقاً وحنينا ..يتذكر الماضي الجميل .. وزمان الصحبة .. ولقاءات الألفة .. ويرتعد القلب .. فزعاً و خوفا.. أن يتثاقل إلى الأرض.. فيترك درب الجهاد.. من هؤلاء الأخيار الأطهار.. أخي وقرة عيني.. أبوأحمد الكويتي .. الذي قُتل مع الشيخ أسامة في (أبوت أباد).. وعُرف في الإعلام.. بمراسل بن لادن .. كانت تربطني به علاقة خاصة.. وبيننا مودة وحب عظيم.. دخلت السجن .. فانقطعت أخباره.. وظللت

عشر سنوات .. أسأل عنه كل غادٍ و رائح.. فلا أجد ما يشفي الغليل .. حتى ظهر اسمه في الإعلام أيام مقتل الشيخ..

وقتها كنت في سجن المديرية بالرياض .. لإعادة محاكمتنا .. وبعدها بشهر نقلنا إلى سجن (ذهبان) بجدة.. لإكمال المحاكمة..

وهناك .. في زنزانتي الإنفرادية.. رأيت أبا أحمد في المنام .. جالساً على كرسي.. في هيئة جميلة .. ولباس رائع .. يشرح الصدر .. وكنت جالساً بجواره على الأرض ..فسألته .. يا أبا أحمد .. أنت في الدنيا أم في الجنة ؟ .. فقال لي .. أنا في الجنة ..والآن جئتك من الجنة ..

رحمك الله يا أبا أحمد.. وتقبلك في الشهداء..

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك

فقال أتبكي كـــــــل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى والدكادك

فقلت له إن الشجا يبعث الشجا فدعني فهذا كلـــــه قبر مالك

❁ خواطر مُحبّ

...(أتباع الرسل)...

قال هرقل لأبي سفيان.. (أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم).. قال أبوسفيان..(بل ضعفاؤهم).. قال هرقل.. (وهم أتباع الرسل)..

نعم.. الضعفاء..هم أتباع الرسل.. ضعفاء الحيلة.. المتقللون من متاع هذه الدنيا ..المتقللون من الأموال والمناصب والوجاهة.. ليسوا أهل النعيم الذين غرتهم الحياة الدنيا.. جند الإسلام وقوته.. الصابرون.. المرابطون.. المحتسبون.. الشعث الغبر..

الضعفاء المستضعفون.. المدفوعون بالأبواب.. تنبو عنهم أعين الناس.. لا يُؤبَه لهم ..الغرباء.. تركوا الأهل والأوطان.. ومراتع الصبا والخلّان.. هم الأغلبية الصامتة ..المسدّدون لكل خير.. وهَبهم الله كل خُلق جميل.. السكينة لباسهم.. والبرّ شعارهم.. والتقوى ضمائرهم.. والحكمة منطقهم.. والصدق والوفاء طبيعتهم ..والعفو والمعروف خلقهم.. والحق شريعتهم.. والهدى إمامهم.. موحدون.. مؤمنون ..يُلهمون التسبيح والتحميد.. والثناء والتوحيد.. قرابينهم دماؤهم.. مصاحفهم في صدورهم..

رهبان بالليل.. ليوث بالنهار.. يقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا.. ويخرجون ابتغاءمرضاته ألوفا.. خرجوا من ديارهم في صمت.. ينصرون دين الله.. يبتغون الموت مظانّه..هم السواد الأعظم.. والأغلبية الصامتة..



خواطر محروم

..(مع الشهيد قبل مقتله)...

لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها.. ساعة موتك لن تتقدم ولن تتأخر ..﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا﴾[5] ... قبل فتح غارديز وأثناء التحضير للعمليات .. حفرنا خنادق في الخط الأول.. أحد الخنادق يبعد عن العدو حوالي 1200م .. بعد الحفر ظهر في جدرانه الماء .. أردنا تركه..وحفر آخر بجواره..تذكرت أن معنا في المركز الخلفي.. أخ جزائري مهندس جيولوجي .. يعرف باسم (ربعي) .. طلبت منه الحضور لمعاينة الموقع.. حضر واصطحبته إلى الخندق ..فلما عاينه قال لي .. لا تتعب نفسك .. هذا عرق ماء ممتد أينما تحفر هنا سيخرج الماء.. رجعنا بعدها إلى الخط الثاني .. ثم توضأ (ربعي) وصلى الضحى ..بعدها خرجت أنا وهو.. نمشي نتجاذب أطراف الحديث.. وكان عند العدو راجمة.. (BM 13) عيار (130) ملم..ذات (16) فوّهة.. فسمعنا صوت الإطلاق ..قال لي .. وهو بجانبي..يبدو أن القذيفة قريبة .. قلت له .. لا ..بعيدة .. لم أكد أكمل الجملة حتى سقطت القذيفة بجوارنا .. أنا مباشرة إرتميت على الأرض منبطحاً.. أما هو فقد جثا على ركبتيه.. ثار الغبار حولنا ..وطارت فوقنا الشظايا

[5] آل عمران 145.

..عندها نهضت.. فوجدت أن إحدى الشظايا ..قد اخترقت الفك العلوي لربعي ..وخرجت من الجانب الآخر .. فقُتل مباشرة.. رحمه الله تعالى..

كان من خيار الاخوة.. دمث الاخلاق .. محبوب .. مثقف.. رأى قبلها في المنام ..جبريل عليه السلام يمشي في روضة خضراء.. ورأى نفسه يمشي خلف جبريل ..يضع جبريل رجله في الأرض .. فإذا رفعها.. وضع (ربعي) رجله مكانها..كان أول شهيد في غارديز.. دفناه قرب مصرعه.. وسمّينا المركز الأمامي حيث قُتل باسمه ..رحمه الله وتقبله في الشهداء..

۞ خواطر مشتاق

...(الطوْد الشامخ)...

كان الشيخ عبدالله عزام رحمه الله.. واضحاً كالشمس.. يعطيك المعاني العظيمة ..في عبارات سهلة بسيطة.. كلماته تخرج من القلب.. فتلامس بصدقها.. شغاف القلوب.. فتهزها هزا.. تنفض عن الأجساد.. غبار الوهن.. وتصل إلى الأرواح ..لتحلّق بها بعيدا.. فتنظر منعَلٍ.. لتعرف الحق.. في تلك الليله.. حضر الشيخ إلى معسكر التدريب في (صدى).. كانت المرة الأولى التي أراه فيها وجهاً لوجه ..إلتفّ الشباب حوله.. سلّم عليهم.. عانقهم وعانقوه.. كما يفعل الأب مع أبنائه.. في اليوم التالي.. كان عندنا درس فقهي بعد صلاة الظهر.. حدثنا الشيخ عن التيمم.. قال فيما أذكر.. المجاهد إذا لم يجد الصعيد الطاهر.. فإنه يتيمم على ملابسه .. ثم ضرب الشيخ بيديه على صدره.. فثار الغبار من بين ملابسه ..عندها لم أتمالك نفسي.. فصِحْتُ دون أن أشعر.. الله أكبر..

نعم.. صدق (ابن المبارك).. ريح العبير لكم.. ونحن عبيرنا.. رهج السنابك والغبار الأطيب.. كنت حديث عهد بالجهاد.. قادماً من بلاد الحرمين.. حيث أدهان العود ومجامر البخور.. وأصناف الروائح والعطور.. قلت محدثاً نفسي.. هذ امَنْ كنت أبحث عنه.. هذا هو العالم الرباني.. الذي يصدِّق قوله بفعاله.. كان رحمه الله يتنفس بالجهاد.. عاش لقضيته.. وقُتل من أجلها.. وبقيت كلماته نبراساً للصادقين

..المجاهدين.. الأغلبية الصامتة.. السواد الأعظم.. يسيرون على هديها.. رحمك الله يا شيخ الجهاد والمجاهدين..

❁ خواطر مشفق

في الطريق إلى الله ... يتساقط البعض ...كما أوراق الشجر في فصل الخريف ... في ساحات المعارك ... مجاهد يتقهقر ... يضع السلاح عن كاهليه ...يتثاقل إلى الأرض ... يخلد إلى الحياة الدنيا ... يبيع آخرته ...في غياهب السجون ...أسير ينهار ...يعترف على إخوانه ... تحرقه نار المحنة ...فيتخلف عن الركب ...ويغادر المسيرة ... إنه الضعف البشري ...الذي قد يصيب كل إنسان ...حيث يرى ما لا صبر له عليه ... بين سطور تساقطهم ... لوعة حارقة .. وفي ثنايا تعثّرهم ... ألم رهيب ... وفي دواخلهم ...إنكسار الذات ...واحتقار النفس ...وكراهية الفعل ... مهما خادعوا أنفسهم ... هم يتضاءلون أمامها ...إنهم يرمقوننا من بعيد ...قلوب وجِلَة ...وعيون زائغة ...وأيدٍ مرتعشة ...يبحثون فيعيوننا ...عن نظرة ...فيه االرحمة ...يتأملون في وجوهنا عن ...عن طلاقةٍ ...فيها الإعذار ...يتحسسون أيدينا ...أن نمدّ لهم العون ... هم خلق الله ... لا يملك أحد ... أن يحول بينهم وبين خالقهم ... أو أن يمنعهم التوبة ... وفي الحديث... (لا تكونوا

عون الشيطان على أخيكم) ...نخذل الشيطان ...ونعين أخانا على التوبة ... الله تعالى يفرح بتوبة عباده ... ويحب التوابين ...

تجاوزك عن عثرة أخيك ... تجده ...فيتجاوز الله عن عثرتك ... وفي الحديث ... (مَنْ أقال مسلماً أقَالَ الله عثرته) ...في سورة يوسف ...﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[6].

۞ خواطر مكلوم

ما رأت عيناي مثل الشيخ أسامة رحمه الله في حسن خلقه.. وسعة صدره.. وعظيم حلمه.. وعفة لسانه.. ما سمعته يوماً يذكر أخاً بسوء.. رغم وجود المخالفين له وقتها.. والطاعنين فيه..

ذات مرة كان معنا ضيوف على طعام الغداء من إحدى الجماعات الجهادية.. بعد الغداء.. قال لي الشيخ.. (فلان هذا تكلم فينا كثيرا).. ثم سكت الشيخ.. ولم يزد على هذه الكلمة.. فقد كان حريصاً على استيعاب إخوانه.. واستقطابهم للعمل معه.. لا يحمل ضغينة لأحد.. فهو رجل أمة.. وإنّ كبير القوم لايعرف الحقد..

[6] يوسف 92.

صاحبنا فلان هذا.. فيما بعد.. ترك جماعته .. وانضم للقاعدة وبايع الشيخ.. وغدا من رموز القاعدة التي يشار إليها بالبنان..

وكما كان الشيخ رجل أمة..كان أيضا رجل عامّة.. قريباً من الشباب.. متودداً لهم.. عارفاً بهم.. حين تراه جالساً معهم يتبادل معهم الأحاديث ..والطرائف.. والمواقف. .يعظم في عينك هذا الرجل.. بتواضعه ..وأدبه.. وخلقه الذي لايُجارى..

ما كان رحمه الله يضيق بالنقد.. ولايتبرم بالنصيحة.. كان حريصاً على معرفة الخلل.. باحثاً عن أنجع الحلول.. كتبت له ذات مرة ملاحظات على التنظيم في (40) صفحة.. وأسميتها (إتكاءة على حدّ السيف).. أُعجب بها جداً.. وجلسنا أياماً طويلة .. نتناقش حولها.. لميغضب.. ولمينفعل.. كمايفعل المنتفخون بذواتهم..كان رحمه الله واثقاً بالله.. هادئاً في طبعه..كثيراً مايقول لي بلهجتنا (دايره صبر)..

كان يزعجه المدح.. أو الهتاف باسمه... فقد كان يربطنا بالقضية... وليس بشخصه.. ذات مرة.. وفي أحد الزواجات.. قام الشباب بترديد إحدى الأناشيد.. وعدلوا بعض كلمات النشيد.. وذكروا اسم الشيخ.. بعد أن أكمل الشباب نشيدهم.. تحدث الشيخ.. وبكل حنان وأدب.. نهاهم عن ذلك.. وطلب منهم أن لا يعودوا لمثلها..

نعم.. واللهِ.. في الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ...

❁ خواطر مُودّع

...(الرسالة الأخيرة) ...

أبو عاصم التبوكي (سعيد القحطاني) ..وهو في رحلة الخلود .. متجهاً إلى الشيشان .. منتصف التسعينيات ..كتب إليّ رسالته الأخيرة ..وختمها بالأبيات التالية ..

ولما برزنا لتوديعهم بَكَوْ دمعاً وبكينا عقيقا

أداروا علينا كؤوس الفراق فهيهات هيهات مِن هَوْلها أن نفيقا

تَوَلَّوْ فأتبعتهم دَمْعِيَ فصاحوا الغريقَ وصِحْتُ الحريقا

ولم تمض أشهر على هذه الرسالة ..حتى جاءنا نعيه ..رحمه الله وتقبله في الشهداء ..

شارك في الجهاد الأفغاني ..وكان في السابعة عشر من عمره ..أكرمه الله بالرباط والقتال ..شهِد فتح خوست وغارديز وكابل ..عاد بعدها إلى بلاد الحرمين ..أجبره إخوانه على العودة إلى الدراسة ..أكمل الثانوي ودخل الجامعة .. درس الهندسة في جامعة البترول والمعادن ..لكنّ نفسه الأبيّة التي ذاقت حلاوة الجهاد .. لم ترْض أن تكون مع الخوالف ..هجر مقعده في الجامعة ..ويمّم وجهه مهاجراً .. شطر بلاد الشيشان ..نحن مَنْ بكينا عليك .. يا (صقر تبوك) .. كما كنا نلقبه.. وبكينا على أنفسنا من بعدك .. فوداعاً (أباعاصم) .. وتقبلك الله في الشهداء ..



❁ خواطر مُتيّم

... (مع الشهيد في قبره) ...

بعد فتح خوست .. توجه المجاهدون الأفغان إلى مدينة غارديز عاصمة ولاية بكتيا .. بقيادة الشيخ جلال الدين حقاني ومعهم أنصارهم من المجاهدين العرب في جبهة الشيخين .. يتقدمهم أميرهم أبو الحارث الأردني وقائدهم العسكري أبو معاذ الخوستي الفلسطيني ..

وهناك على قمة جبل (ساتيكاندو) نصب الأنصار العرب أو لخيمة لهم .. على إرتفاع (3300 م) .. من تلك الخيمة .. وعلى ذلك الجبل الشاهق .. ومن سفوحه الممتدة التي تغطيها أشجار الصنوبر.. بدأت دوربات الإستطلاع .. وبدأ التخطيط لإنشاء المراكز المتقدمة .. والخطوط الخلفية .. ومرابض المدفعية .. ومراكز الترصد .. وشبكة الاتصالات .. والمستشفى الميداني .. ومواقع ال (م.ط) ..

كان من ضمن المجاهدين العرب .. مجموعة من شباب الجماعة الإسلامية المصرية .. ذهب ثلاثة منهم في مهمة إلى قرية (سيدكرم) شرق مدينة (غارديز) .. وهم (حذيفة وحمزة ونسيت اسم الأخ الثالث) .. في طريق عودتهم .. وقعوا في كمين غادر .. قُتل (حمزة وحذيفة) .. تقبلهما الله .. ونجى الثالث .. ذهب الأنصار العرب وأحضروا الجثتين .. تم دفنهم في المركز الخلفي .. فيما بعد أُضيف إليهم الشهيد القائد (أبو بنان الجزائري) تقبله الله .. أمير معسكر خلدن .. الذي تخرج

على يديه المئات من المجاهدين .. وكان من أبرزهم .. (إبن الشيخ) الليبي رحمه الله .. و (أبو زبيدة الفلسطيني) فك الله أسره ..

المقبرة الرئيسية كانت في الخط الأول .. حيث قُتل (ربعي بن عامر) الجزائري تقبله الله .. وإلى جواره يرقد أكثر من عشرين أخ من الأنصار العرب تقبلهم الله .. أما في المركز الخلفي .. فقد كانت هناك ثلاثة قبور فقط .. هي قبور أبي بنان الجزائري .. وحمزة المصري .. وحذيفة المصري .. تقبلهم الله .. هذا المركز هُجر فيما بعد وأصبح خالياً بسبب قلة المجاهدين ..

لاحظ أحد الأنصار العرب وجود (هدم) في أحد القبور .. و(هبوط حاد) في تربته .. فأخبر بذلك (أبا معاذ الخوستي) القائد العسكري .. إنتدب (أبو معاذ) شخصي الضعيف .. ومعي أربعة من الإخوة الأفاضل .. وهم ..أبو مصعب الشمراني رحمه الله .. وحيدرة التبوكي رحمه الله .. وعبد الماجد المصري .. ومسعودي الجزائري .. وأمرنا أن نعاين القبر .. ونعالج الوضع بما هو مناسب ..

ذهبنا نحن (الخمسة) .. إلى مكان القبور الثلاث .. لم يكن القبر المنهدم هو قبر (أبي بنان الجزائري) .. فقد كنا نستطيع تمييز قبره .. هذا يعني أن صاحب القبر إما (حذيفة المصري) .. أو صاحبه (حمزة المصري) .. عزمنا على أن نحفر القبر .. وعلى ضوء ما نجد نقرر الحل المناسب .. بدأنا الحفر بهدوء .. وباستخدام (أدوات) الحفر .. وبعد عمق (1م) .. توقفنا عن استخدام (الأدوات) .. وبدأنا نحفر يدوياً .. بهدوء وحذر .. وَجِلين مما هو قادم .. ومترقّبين لما سيحدث ..

كنت (أنا) أحفر من جهة الرأس .. قليلاً قليلا .. رويداً رويدا .. شيئاً فشيئا .. (الله أكبر) .. بدأت (الجثة) تظهر .. كان التراب والطين قد غطى كامل (الجثة) ..سبحان الله .. إنه هو .. نعم .. هو هو .. هذا (حمزة المصري) .. رحمه الله .. كأنه يوم دُفن .. يرقد في هدوء .. بوداعة وسكينة .. معذرة أيها البطل .. قد أزعجناك .. رحمة الله وبركاته عليك .. قمتُ بمسح التراب والطين عن وجهه .. شعره .. لحيته .. حرّكت أطراف أصابع يده .. لينة طريّة .. أظافره طويلة .. كما هو .. بنطاله العسكري الأخضر .. وقميصه الأفغاني .. بقع الدم الحمراء قد جفت عليه ..

نحن الآن أمام جثة كاملة .. واضحة المعالم .. ظاهرة التفاصيل .. لم تتحلل .. ولم تتغير .. هنا قررنا إخراج الجثة .. ثم قمنا بإصلاح القبر وترميمه .. ثم أعدنا أخانا إلى مرقده .. ودّعناه .. ثم دفناه مرة أخرى .. ونحن نلقي عليه نظرات أخيرة .. حسبنا المدة الزمنية بين مقتله واستخراجه .. وجدناها حوالي (10) شهور .. أو تزيد .. رحمك الله يا (حمزة) .. وتقبلك في الشهداء ..

ومن باب الشيء بالشيء يُذكر .. كنا نرى قتلى الجيش الأفغاني .. لا يكاد يمرّ على أحدهم اليوم أو اليومان .. حتى تتنفخ جثته .. ثم تنفجر وتتحلل .. ويسيل منها الدم الأسود .. ويخرج منها الدود .. وتفوح الرائحة الكريهة النتنة .. ولا يستطيع أحد أن يقترب منها .. فالحمد لله على فضله ونعمائه .. وأسأله سبحانه أن يثبتنا على هذا الطريق .. وأن يختم لنا بالشهادة .. مقبلين غير مدبرين ..

۞ الجهاد ينفي خَبَثَه ...

بعد فتح كابل .. ودخول قوات المجاهدين .. وسقوط حكومة العميل الشيوعي (نجيب) .. عاش الإخوة المهاجرون .. فترة .. من الاضطراب في المشاعر .. وهم يرون ثمرة جهادهم في أفغانستان توشك على الضياع ..

رأى أحدهم في (منامه) .. كلاشينكوفاً .. تشتعل النار فيه .. وهو يحاول عبثاً إطفاء تلك النار .. فلا ينجح .. ولأن الجوّ كان ملبّداً بغيوم الإحباط .. تمطر شكاً وريبة .. أوّلها صاحبها .. فقال .. هذه ثمرة الجهاد قد احترقت ..

بلغت الرؤيا وتأويلها .. الشهيد القائد ..أبامعاذ الخوستي (رحمه الله).. فقال .. لا واللهِ ..هذه نار الجهاد قد اشتعلت ولن تنطفيء بإذن الله ..

لم تمض سوى أربع سنوات .. حتى كان (الطالبان) .. يدخلون (كابل) ..فاتحين ..ليقيموا دولة الإسلام .. ويحكموا شرع الله ..ويبسطوا العدل والأمن .. وتصبح بلادهم .. قبلة المهاجرين المستضعفين في الأرض ..

*****

المواقف تتكرر عبر التاريخ .. والمنافقون بين الصفوف .. والمرجفون في المدينة .. موجودون في كل زمان .. وفي كل جماعة .. يخرجون من (جحورهم) .. في الكرب المزلزل .. والهول العظيم .. والضيق الشديد .. يكشفون عن .. خبيئة نفوسهم ..

و وَهن عقيدتهم .. وخَوَر قلوبهم .. يستغلون .. الخطر المحدق .. فيحرضون المجاهدين .. على ترك مواقعهم .. والانسلاخ من الصف .. والعودة إلى ديارهم .. دعوة خبيثة .. ومكر كُبّار .. وكيد شيطاني .. وفرصة للتوهين والتخذيل .. وبثّ الشك والريبة في وعد الله بالنصر ..

أما النفوس الكبار .. المطمئنة بربها .. الواثقة بوعده .. المشتاقة إليه .. فإنها تفيء ..إلى ما أنعم الله به عليها .. وأودعه في قلوبها .. من اليقين الجازم .. والإطمئنان العميق .. والتوكل الصادق .. فلا تضطرب مشاعرها .. ولا تهتز خلجاتها .. ولا يزيدها الخوف والكرب والضيق .. إلا إيماناً وتسليماً .. وقوة وثباتاً .. وعزماً وتصميماً ..

*****

قال لي ذات يوم .. الشهيد القائد .. أبو الوليد الغامدي (رحمه الله) .. (واللهِ إني في همّ شديد .. ماذا أصنع إذا انتهى جهاد الشيشان .. فأنا ما عدت أصبر عن الجهاد .. ولا أتخيّل نفسي تعيش بدون الجهاد)..

ولقد صدق رحمه الله ..

فعلى رغم ما في طريق الجهاد .. من مشاقّ ومكاره .. فإن من ذاق حلاوة الجهاد .. وخالطت بشاشتُه قلبَه .. فإنه لا يصبر عنه .. ولا تحتمل نفسه فراق ميادين النّزال ..

والجهاد أيضاً .. درب ابتلاء وامتحان .. كالكير .. ينفي خبَث الحديد .. يميز الله فيه .. الكاذب من الصادق .. والخبيث من الطيب .. فلا يثبت إلا أهل الصدق مع الله .. فيفتح الله عليهم أو يصطفيهم شهداء ..

*****

عبادة القتال .. نعمة عظيمة .. وفضل من الله .. يمنّ به على خيرته من خلقه .. ويصطفيهم لنيْل ذلك الشرف .. وإن أقواماً لتسيل مدامعهم .. وتتحرّق أكبادهم .. أن حُرِموا هذا الفضل .. وحِيل بينهم وبين المجاهدين ..

فيا مَنْ توسوس له نفسه بترك الجهاد .. ويزيّن له الشيطان العودة إلى داره .. إعلم أنك .. على وشك أن تُسلب هذه النعمة .. فلتراجع نفسك .. ولتتفقّد إيمانك .. فإن المعاصي تزيل النعم .. وتجلب النِّقَم .. ولا نعمة .. أعظم بعد الإيمان بالله .. من نعمة الجهاد .. وأعيذك ..أن تصاب بنقمة (القعود) عن الجهاد .. فالثبات الثبات .. وحذاري .. من التولّي يوم الزحف .. والفرار من الصف ..

*****

أخي المجاهد ..

الآن جاء القتال ..

ليكن شعارك ..

تلك الكلمة التي قالها ..

أنس بن النضر ﵁ يوم أحد ..

لئن أشهدني الله قتال المشركين ..

ليرينّ الله ما أصنع ..

❁ ... ألا موت يُباع فأشتريه ...

في يوم ما ..

قلت لأحد أصحابي.

لو كان الأمر بيدي ..

لجمعت (الديناصورات) ..

وأنا أحدهم..

الذين هم على أعتاب الخمسين..

أو تجاوزوها ..

وقد انهكتهم الأمراض ..

منهم المتردية..

والنطيحة..

وما أكل (اللغم)..

أجمعهم في عملية واحدة..

يختمون بها مسيرتهم ..

بشرط..

أن يكون عملا" فعالا" ذا أثر..

اعترض صاحبي على اقتراحي..

وقال لي..

الحجة المعروفة..

التي تلوكها الألسن..

(هؤلاء أهل خبرة)..

يحتاجهم الجهاد..

قلت..

لم يكن الجهاد ..

في يوم من الأيام "متوقفا" على شخص ..

هذا طريق يصنع رجاله وقادته ..

يُقتل سيد فيقوم مقامه سادات..

رجال هذا الدرب..

في رحم الغيب..

دماء الشهداء هي (الحبل السُّرّي) الذي يقتاتونه ..

يقذف بهم القدر إلى أرض المعركة..

وفق حكمة الله وعلمه..

النصر الحقيقي..

هو في الثبات على الحق ..

والمسير به إلى الله..

والقيام بتكاليفه...

۞ القاعدة.. هي أيقونة الجهاد الأمني..

مجرد بقاء هذا الاسم..

هو انتصار في حد ذاته..

بأبسط عبارة..

أن العدو لم يكسرنا..

رغم هذه السنين الطوال من الحروب ..

وبمجرد أن نظهر للعدو ..

أننا ما زلنا موجودين..

وأننا لازلنا نمتلك القدرة على الوصول إليك..

وتخطي حواجزك الأمنية..

هو نجاح..

والنجاح درجات..

القاعدة..

أنشودة ستظل على الشفاه..

وقصة نرويها للأجيال..

قصة النجيع والدم الزكي..

جنودها ..

هم هؤلاء الأبطال الذين لم يتركوا ثغورهم..

وآخرون في رحم الغيب..

هم أولئك الأطفال في الشوارع..

رجال الغد المنشود..

القاعدة ..

لا ولن تموت..

ولو كانت تموت لماتت يوم أن كان قائدها شريدا طريدا محاصرا ..

ولماتت بمقتله..

القاعدة..

فكرة ورسالة..

راية تتناقلها الأجيال..

لا يسقط اللواء من أيديهم..بإذن الله..

يحملها الأشاوس من كل فج عميق..

يقارعون بها (رأس الأفعى)..

القاعدة..

تنظيم حيوي..

يستعصي على الذوبان في حوامض المؤامرات..

مرّ مذاقه..لا يبتلعه الأعداء..

القاعدة..

ستبقى..

بإذن الله ..

حركة وتنظيما..

فكرة ومنهاجا..

غصّة في حلوق الظالمين..

ولو كره الكافرون..

۞ إلى الديناصورات فقط ...

مع التحية...

- في منطقة (جاجي) بأفغانستان .. وفي مركز (ذات الصواري) بالمأسدة ..اجتمعنا ثلة من الشباب ..من بلدان شتى .. أعمارنا دون العشرين .. نتحسّس خطواتنا الأولى على درب الجهاد .. كما الطفل حين يتعلم المشي ..كنا نتعلم ممن حولنا .. تجول أعيننا تبحث عن القدوة ..كان حب القدوات محفوراً في أعماقنا .. لا أنسى فرحتنا ذلك اليوم ..عندما علمنا بوصول الشيخ موسى القرني (فك الله أسره)..تنازعنا وقتها ..أيّنا يكون فراشه أقرب إلى فراش الشيخ ..وفي المساء ..كان الشيخ بيننا ..يشاركنا (عمليتنا).. ضد الروس ..يقودنا أبو قتيبة السوري (طالب النجار) رحمه الله ..المسؤول العسكري للمأسدة وقتها ...

*****

- لم تمض فترة طويلة على تلك العملية .. حتى وجدت نفسي .. يوم عيد الفطر .. بين يدي الشيخ عبدالله عزام (رحمه الله) .. نسير في طابور طويل .. إلى قلعة (تشاوني) معقل الروس في جاجي .. فاتحين فرِحين بنصر الله ..

ولولا أن يكون الحديث عن أولئك العظماء ذريعة للحديث عن النفس ..لأطلقت لقلمي العنان .. كانوا هم المشعل الوضّاء ..نقتفي آثاراهم .. ونهتدي بأنوارهم .. نراهم بيننا وسط المعارك ..فتتّقد فينا جذوة الجهاد .. لله درّهم من قدوات ...

*****

يا أيها الديناصور ..

تأمّل هذا الحديث .. وعش تلك اللحظة .. وتوهّم أنك بينهم .. يقول علي بن أبي طالب ﵁ ..كنا إذا حَمِيَ البأس .. ولقي القومُ القومَ .. اتَّقينا برسول الله ﷺ ..فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ..

فلا ترضَ اليوم أن يكون أحد أقرب إلى العدوّ منك ..

*****

يا أيها الديناصور ..

هذا أوان قضاء الدَّيْن .. كنت في شبابك تبحث عن قدوات .. فكن أنت اليوم القدوة .. اهجر السفح .. واصعد الذروة الشمّاء .. فإن حولك فتية أشاوس .. ليوث في أعمار أبنائك .. فإذا سَرَت فيك رعشة من جنون الشجاعة .. وجلجلت منك زعقة المعارك .. فاصرخ بها ..صرخة تشق الآفاق .. بوهجها المستطير ..(من يبايع على الموت) ..كن لأولادك المجاهدين .. جُنّة يقاتلون من ورائك .. يتّقون بك العدو .. فلا يكن أحد أقرب إليه منك .. شديد البأس .. قوي الشكيمة .. عظيم النكاية .. أول من يقتحم .. وآخر من ينسحب .. كن أنت المثال والقدوة..

يا أيها الديناصور ..

الآن حَمِي الوطيس ..

❁ الحق أبلج ...

الحركة الجهادية...

ينبغي أن تكون واضحة المعالم ..

في طرحها لدعوتها ..

القائمة على تعبيد الناس لربهم..

من خلال دعوتهم..

إلى توحيد الله ..

ونبذ الشرك في كافة صوره..

والجهاد في سبيل الله لتحقيق ذلك..

فتحقيق التوحيد بجهاد الطواغيت سنة ربانية لا تتبدل...

فهي حركة تجمع بين ..

السيف والقلم ..

والسنان واللسان..

وقد يتفق معنا البعض ..

في أجزاء من دعوتنا...

ويشاركنا بعض الهموم..

هذا المشترك..

يقاس ويوزن بميزان الشرع..

مادام أن صاحبه مسلم من أمة الاسلام..

والتعاون معه يكون "منضبطا" بضوابط الشرع كذلك..

دون أن نداهنه في معالم دعوتنا..

لنكن واضحين معه..

غير هيابين ولا وجلين..

أما تصديره وإبرازه للجماهير ..

فنفرق بين إنتاجه الفكري أو الميداني الذي قد يخدم دعوتنا في بعض المشترك..

مع التحذير..

من المختلف فيه دون مجاملة لشخصه..

أما تصديره وإبرازه للجماهير ..

وهو متكيء على أريكته لا يمارس عبودية الجهاد في سبيل الله ..

فلا وألف لا..

ولا نامت أعين الجبناء...

۞ الشام (دعوة مخلص)...

على تبّة تطلّ على مدينة (غارديز) .. عاصمة ولاية بكتيا بأفغانستان .. وقفت أنا وأبو جندل التبوكي نتأمل في تلك المدينة الحصينة .. هَالني منظر (الدبابات) المتراصة في (مرابضها)..لا يبدو إلا (أبراجها) .. على طول الخط الأول للعدو في مواجهة مراكزنا الأمامية .. لا تفصلنا سوى أرض سطحية منبسطة خالية من السواتر .. في مسافة لا تتجاوز (2) كلم وربما أقل .. حدّق أبوجندل في ناظريّ .. وكأنه قرأ في وجهي (اليأس) من إقتحام تلك المدينة .. فقال .. يا أباحذيفة .. غارديز .. (دعوة مخلص) ..

*****

هزتني تلك الكلمة .. وسَرَت حروفها في جوانحي ..وأعادتني إلى (الجادّة)..كتبناها بخط جميل على لوحة .. واحتلت تلك اللوحة مدخل (مركزنا) ..أردنا لتلك العبارة الميمونة .. أن تكون شعارنا .. قبل نشوب القتال ..أردناها أن تكون (درساً) لنا .. فسلاحنا هو الدعاء .. سلاحنا هو الإلتجاء إلى الله .. والانطراح بين يديه .. والتضرع والافتقار إليه .. واستنزال النصر من عنده .. سلاحنا الذي نقاتل به هو أعمالنا الصالحة قبل القتال .. سلاحنا هو الإقبال على الله .. ذكراً له .. وتلاوة لكتابه .. وتدبراً لمعانيه .. سلاحنا هو في صيام النوافل .. وقيام الليل .. سلاحنا هو إخلاصنا لله تعالى .. ومتابعة نبيه مُحَّد ﷺ ..

يؤثر عن عمر رضي الله عنه ..أنه كان يوصي جنده بالتوبة قبل النزال ..

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه .. يقول .. (أيها الناس ..عمل صالح قبل الغزو .. فإنما تقاتلون بأعمالكم).. وكان الفضيل بن عياض يقول للمجاهدين .. إذا أرادوا أن يخرجوا .. (عليكم بالتوبة فإنها تردّ عنكم ما لا تردّه السيوف) ..

*****

بدأ الهجوم على المدينة .. كان هجوماً شاملاً .. وكان قوياً في زخمه الأول .. لم يكن مع المجاهدين سوى (دبابة) واحدة .. كادت المدينة أن تسقط بيد المجاهدين

.. وكان الفتح قاب قوسين أو أدنى ..ولكنها استعصت في اللحظات الأخيرة .. وكان (المهر) غالياً .. من دمائنا وأشلائنا ..

وتوقف الهجوم .. ودخل فصل الشتاء القارس ..كنا على يقين أن وراء التأخير حكمة ربانية .. وأن ما أصابنا فبما كسبت أيدينا .. فنحن نقاتل بأعمالنا قبل أن نقاتل بسيوفنا .. لم نهن .. ولم نضعف بفضل الله .. رغم ما حشده العدو من آلة حربية ضخمة .. كنا نستحضر قول الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة يوم مؤتة ..(ياقوم .. إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون .. الشهادة .. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة .. ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به .. فانطلقوا .. فإنما هي إحدى الحسنيين .. إما ظهور .. وإما شهادة) ..

ثم جاء فصل الربيع .. ولما حان وقت القتال .. كانت المدينة تستسلم بكامل عدتها وعتادها .. للمجاهدين .. بقيادة الشيخ جلال الدين حقاني ..فكان نصراً من الله .. وفتحاً مبيناً ..

*****

يقول تعالى في سورة آل عمران .. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ..

قال سيد قطب رحمه الله .. (والذين تولوا يوم التقى الجمعان في (أحد) .. إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا من الذنوب .. والذين انتصروا في معارك العقيدة وراء أنبيائهم .. هم الذين بدؤوا المعركة بالإستغفار من الذنوب .. والالتجاء إلى الله .. والالتصاق بركنه الركين) .. وقال أيضاً رحمه الله .. (والتطهر من الذنوب .. والإلتصاق بالله .. والرجوع إلى كنفه .. من عدّة النصر وليس بمعزل عن الميدان) ..

*****

يقول أحد المجاهدين ..وهو يتحدث عن الشجاعة والجبن في المعارك ..(المعركة التي أدخلها بإعداد إيماني .. من صلاة وصيام وقيام وتلاوة قرآن وذكر .. أكون فيها من أشجع الناس .. أما المعركة التي أدخلها وقد سبقها مني إسراف على نفسي بالذنوب أو كنت مقصراً في الطاعات ..تجدني فيها من أجبن الناس) ..

ولقد صدق ..ومن جرّب وذاق .. عرف ذلك حق المعرفة ..

*****

أيها المجاهدون ..

عليكم بتقوى الله فإنها سلاحكم ..

واحفظوا الله يحفظكم ..

واحذروا الذنوب فإنها أخوف عليكم من عدوكم ..

۞ المجاهد والأخوّة ...

في حياة كل مجاهد ..

أحبّة أعِزّة كِرام ..

يسيرون معاً على هذا الطريق ..

هم جند الله وأُسْدُه ..

دماؤهم قرابين دينهم ..

تعاهدوا على الفداء ..

شعارهم الحبّ والوفاء ..

يتدثّرون آمالهم ..

ويتوسّدون آلامهم ..

هم في خَاطِره ..

وبين أضلعه ..

يسكنون قلبه ..

ويستوطنون فؤاده ..

بسماتهم من مَبْسمه ..

ودموعهم من مَدْمعه ..

هم سَلْوة أحزانه ..

وموطن أشجانه ..

هم جنة الدنيا ..

وأفراح الآخرة ..

نسائمهم من عبير الملإ الأعلى ..

ومجالسهم من رحيق الجنة ..

هم نَغَمٌ عَذْبٌ تعزفه الطيور ..

أنشودة على كل الشفاه ..

بهم تحلو الحياه ..

لا يصبرون عن بعضهم ..

أشواقهم تزداد باللقاء ..

أرواحهم وثيقة الإخاء ..

وحين يأتي الفراق ..

والشمس توذن بالغياب ..

هذا الراحل بلا إياب ..

يسرج الشهيد جَوادَه ..

ويغادر مودّعاً رفاقه ..

يطير محلّقاً وسط الطيور الخُضْر ..

يسرح حيث شاء من الجنة ..

تتفطّر القلوب ..

وتتقرّح الأكباد ..

ويبقى طائر الشفق الغريب ..

حزيناً يكتم العبرات ..

وحيداً تؤرّقه الذكريات ..

ويسعده حديث البُشْرَيات ..

يحدوه أمل اللقاء ..

غداً يلقى الأحبّه ..

مُحَّمداً وصحبه ..

(يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) ..

- قال السدي ..

إن الشهيد يُؤتى بكتاب فيه من يَقْدُم عليه من إخوانه وأهله .. فيقال: " يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا "، فيستبشر حين يقدم عليه، كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا ..

۞ النخبة وجهاد الأمة ...

القول أن عصر التنظيمات قد ولّى..وأنه قد أقبل جهاد الأمة.. قول يحتاج إلى تحرير..

التنظيم -أيا كان ذلك التنظيم- لن ينتهي ولن يذوب في الأمة..إلا في حالة واحدة فقط..وهي حالة النصر النهائي.. والانتقال إلى مرحلة (الدولة).. عندها يفقد التنظيم مبررات وجوده..

وكذلك (النخبة).. لن تتلاشى.. فكيف لا.. والتنظيم هو إحدى صورها ..لأنه يمثل الصفوة المختارة.. التي ارتضت أن تحمل على عاتقها.. مسئولية استنهاض الأمة.. وتكاليف الجهاد..وتضحيات المواجهة..

والتنظيم هو جزء ..لا ينفصل عن أمته.. ويعجبني.. تشبيه الإمام عزام رحمه الله.. له.. بأنه (الصاعق).. الذي يفجر عبوة المتفجرات.. فدوره هو تحريض تلك الكمية على التحول إلى غازات هائلة في زمن يسير.. ينتج عنه تحقيق المطلوب..

إذن الأمة لا بد لها ..من تنظيم.. ونخبة.. وطليعة مقاتلة تأخذ بيدها.. وتكون رأس الرمح في معركتها..أما القول أن الأمة ستتحرك هكذا ..من ذاتها.. وبوعي من داخلها.. فهو بعيد.. حتى أن حدث.. فستظل تخبط خبط عشواء..ذات اليمين.. وذات الشمال.. في فوضوية قاتلة.. حتى تسلم زمامها إلى (تنظيم).. يؤطر حركتها .. ويقودها وفق استراتيجية واضحة المنهج والخطوات..

أما على الواقع..

فنستطيع القول..

أن التنظيمات مرت بمراحل ضمن الحركة الجهادية.. فالتنظيم القطري المنعزل ضمن بيئته انتهى فعلا..كما حدث في التسعينات في مصر وليبيا والجزائر وغيرها..

نحن ومنذ أحداث 11سبتمبر..

نبحث عن مفتاح الصراع ..الذي نحاول من خلاله..اقناع أكبر شريحة من الأمة بدخول المعركة..لأنه كما أسلفنا ..الأمة لن تتحرك بوعي ذاتي إلا فوضويا..

لذلك برز لنا نموذجان للعمل الجهادي..

الأول..

الاحتلال المباشر..

كتجربة العراق.. وندخل في هذا النموذج الآن ..وضع الشام..لأنه صار قريبا منه..لذلك برز دور التنظيم ..واستغل مفاتيح الصراع الموجوة من أجل تجييش الشعب جهاديا ضمن.. حركة شعبية جهادية..

الثاني..

نموذج الجهاد الأممي..

وهو يمارس من التنظيم .. ويلتحق به الناس ..إما بعضوية حركية..أو انتماء فكري مع عمل ميداني..دون انتساب تنظيمي..

لذلك..

إن أردنا الحديث عن (جهاد الأمة)...

ينبغي استنهاض همم العلماء الصادقين.. وحثهم على الصدع بالحق.. وتبيان حكم الله في النوازل المعاصرة.. والأخذ بالعزيمة.. وترك التقية.. وابتغاء ما عند الله..لأن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر..وقتيله هو سيد الشهداء..

وعليهم ترك المصالح الموهومة.. من ضياع الدعوة .. بمقتلهم.. واندثار العلم.. فستحيا على تضحياتهم أجيال.. وستستضيء بدمائهم الأمة.. وسيبارك الله في إرثهم..

داؤنا يا أحباب هو..

حب الدنيا و كراهية الموت...

۞ حتمية المواجهة...

ثبت من الأحداث التاريخية..

أنه لا يقوم الجهاد في بلد حتى تسبقه تجارب ومحاولات جهادية صغيرة فاشلة عسكرية.. ولكنها ناجحة من حيث كونها صارت رصيد تجربة للأجيال تتعلم منها.. على الرغم من فداحة الثمن (قتل- أسر- تشريد).. ولكن هذا الطريق هو طريق التضحيات.. ولولا تلك المحاولات البدائية والتجارب لما استوى الجهاد على سوقه وأينعت ثمرته.. وكل من يأتي بعد ذلك هم عيال على السابقين وفي ميزان حسناتهم..

وعندها يبدأ ظهور (الجماعة) التي على كاهلها سوف تحمل أعباء الجهاد .. تقوم وهي تتكيء على إرث جيل أو أجيال من السابقين .. الذين مهدوا الطريق

لنشوئها بدمائهم وأشلائهم .. تقوم هذه (الجماعة) متوكلة على ربها .. واثقة بنصره .. وتمرّ عليها فترات حرجة .. وتدخل منعطفات تاريخية .. وتشهد أحداثاً مفصلية .. وتتعرض صفوفها إلى تمحيص شديد وغربلة عظيمة .. فلا يثبت إلا من ثبته الله ..

وقيادة (الجماعة) ..ينبغي أن تكون على مستوى الحدث .. وهي مطالبة باتخاذ قرارات شجاعة .. فلا تتردد .. ولا تدفن رأسها في الرمال .. وتدور مع الحق حيث دار ..

والجماعة ..لها (استراتيجية) واضحة تسير على هديها .. ولها مشروعها الخاص.. فلا تذوب في مشاريع الآخرين.. ولا تعترف باللعبة الدولية.. ولا بتفاهمات الدول السياسية.. فهي جماعة منضبطة منهجياً .. وسط بين (الخوارج) و (المرجئة).. وتلتزم سباسة شرعية راشدة في التعامل مع الأحداث ..وأفرادها أصحاب (إرادة قتالية) عالية جدا ..لا تتحطم معنوياتهم بحروب العدو النفسية ..

عندها تصبح تلك الجماعة هي (نجم الساحة) .. بلا منازع .. و (الراية) التي يجتمع تحتها الصادقون .. فهي أملهم المنشود .. وفردوسهم المفقود .. حتى يفتح الله عليهم ...

۞ رسالة من القلب إلى الدكتور أيمن ...

ياحكيم الأمة ...

ويا شيبة الحكماء ...

أيها القادم من عَبَق التاريخ ...

خمسون عاماً وحصانك يعدو ...

يَغِير صبحاً ومساء ...

يقدح شرراً في وجه الأعداء ...

يا كبيرنا ...

والبركة مع أكابرنا ...

العيون ترمقك ...

والقلوب تعشقك ...

أيّ بريقٍ هذا في عينيك ...

وأيّ عزم هذا بين جنبيك ...

أيها الساكن في الأحداق ...

قل لي بربك من أنت ...

تقتلنا فيك الأشواق ...

حباً لا تحمله الأوراق ...

يا قائدنا ...

اضرب أكبادها ...

خيولنا مُسرجة ...

وسيوفنا متوهّجة ...

امض ونحن معك ...

نقاتل عن يمينك وعن شمالك ...

ومن بين يديك ومن خلفك ...

يا أمير القاعدة ...

يا أيها الصارم البتّار ...

تكسو السيوف عزيمة ومَضاء ...

يا مُهجةً لم تخشَ إلا الله ...

مرفوع الجبين ...

الأُسْد تزأر حولك ...

لا نقيل ولا نستقيل ...

❁ عاصفة الطائرات ...

(في ذكرى أبطال سبتمبر)...

في أفغانستان تجمّعوا ..

غرباء من شتى القبائل ..

يحملون أشواق المهاجرين الأوائل ..

يحدّثون أنفسهم بأفراح الشهادة ..

أرواحهم تهفوا إلى جنة عرضها السماوات والأرض ..

خيامهم نديّةٌ أجواؤها بتلاوة القرآن ..

مجالسهم زكيّةٌ أنسامها بذكر الله ..

لياليهم تضرّع وخشوع ودعاء ..

أخلاقهم راقيةٌ سماحة وعطاء ..

مُهجهم رخيصة للدين فداء ..

نسافر معهم عبر القرون ..

فنرى في ظلالهم سيرة السابقين ..

صامدون صمود الجبال في مهاجرهم ..

شامخون شموخ النخيل في بلدانهم ..

لم يهزّهم كيد الكائدين ..

ولم يثن عزمهم تربّص المتربصين ..

هم أبطالنا ..

مَوْئل فخرنا ..

قلوب لا تعرف الخوف ..

الموت يهابهم ..

دم العدوّ خضابهم ..

أولو بأس شديد ..

وذوو عزم من حديد ..

اتخذوا العزة شعاراً ..

خرجوا وفي صدورهم ألف أُمنية ووعد ..

خرجوا ينسجون بدمائهم تباشير الفجر الجديد ..

خرجوا يعلّموننا عشق الموت في سبيل الله ..

امتطوا صهوة طائراتهم ..

إنها البلايا تحمل المنايا ..

نواضح قندهار تحمل الموت الناقع ..

يطئُون أمريكا بخيولهم ..

وعلى إيقاع الحوافر وأنغام الصهيل ..

يعزفون ترانيم النصر العظيم ..

حملوا أرواحهم في أكفّهم ..

وباعوها لله عز وجل ..

فنِعْم المشتري ..

يتسابقون إلى الله تعالى ..

بالأشواق والإخلاص والحب الكبير الصادق ..

نفوسهم ظامئة ..

ترنوا إلى السفر إلى الله في عَجَل ..

(وعجلت إليك ربي لترضى) ..

مرّغوا أنف أمريكا ..

في أوحال الذلّ والهوان ..

فتحوا للمجد صفحات ..

تفوح بالمسك وتضيء بالنور ..

ملؤوا أسماع الدنيا بمعركتهم العبقرية ..

على أجسادهم تكسّرت كل المؤامرات ..

سبحان مَنْ أودع في نفوسهم ..

السكينة والثبات والشجاعة ..

فدحروا أمريكا في ملحمة البطولة ..

لله درّهم من ضياغم ..

وفي يوم عرسهم الكبير ..

تبتدرهم الحور الحِسان ..

وتفتح السماوات أبوابها ..

تستقبل أفواجهم ..

والجنة بزخرفها وزينتها ..

تسرح فيها أرواح الخالدين ..

سلام عليكم بما صبرتم ..

فنِعْم عقبى الدار ..

نحسبهم كذلك ..

والله تعالى حسيبهم ..

كلماتنا عاجزة عن تصوير عظَمة اللحظة ..

قاصرة عن وصف علوّ وسموّ الحدث ..

حروفنا تحترق ..

وهي تحاول الإقتراب من فيض النور ..

لغتنا تموت ..

وهي تعيش إحساس أولئك الفتية ..

إحساسهم بالقرب من الله ..

حين تبدوا المعاني واضحة ..

وقد امتلأت قلوبهم بالشوق إلى الله..

إحساسهم بزوال هذه الحياة ..

وهم يغادرونها ..

إحساسهم بالخلود السرمدي ..

في حياتهم القادمة ..

تحت عرش الرحمن ..

رحلوا ..

وقلوبنا تنبض بحبهم ..

وتبكيهم في صمت ..

في أفواهنا كلمات حبّ لم نَقُلْها بعد ..

وفي أسماعنا حروفهم التي رسموها قبل الفراق ..

ورغم السنين ..

لا زلنا نستنشق عِطر وجودهم ..

رحلوا ..

وتركوا لنا ذكرى الملحمة التي سطّروها بدمائهم ..

فهل نعيد أمجادهم ..

ونقتفي آثارهم ..

أم نرضى أن نكون كربّات الخدور ..

طوبى لهم في ديار الخلود ..

وسلام عليهم في الخالدين .

❁ فأما الزبد فيذهب جفاء...

الحركة الجهادية ..

حركة ضاربة جذورها في أعماق التاريخ..

وهي في حالة ابتلاء وتمحيص دائمين ..

وتخوض مخاضات تاريخية وجغرافية..

لأن طريقها محفوف بالدماء الزكية التي تسكب على عتبات النصر القادم ..

والأمة في مجموعها تتطلع لهذه الحركة ..

وتشرئب إليها الأعناق..

وفي كل مرحلة تمر بها الحركة ..

يلتحق بها الناس..

ما بين مقاتل و طالب علم وصاحب فكر و ذو شأن في قومه..

ولكن مع طول الطريق ..

وتعاظم البلاء..

تفرز هذه الحركة ..

روادها الحقيقيين..

وتتساقط الأوراق التالفة في فصل التضحيات..كتساقط الأوراق في فصل الخريف..

قد يجاملك الناس فترة من الزمان..

وأنت تتصدر المشهد الجهادي..

ولكنك ستسقط حتما يوماً ما ..

من عين الله قبل أعين الناس..

عندما تكتفي بالفرجة ..

ولا تحمل سلاحك لتكون وسط فتية الحركة الأشاوس..

لذلك..

في الحركة الجهادية لا يمكن أن يتسلق قيادتها النفعيون..

لأن القيادة لها ضريبتها..

من تكاليف المطاردة وتعقب الكفر العالمي..

وعندها سينكشف البهرج..

إما أن تكون قادراً على دفع الضريبة..

أو تتنازل ابتغاء للسلامة ..

فينفضح زيفك..

هذا الطريق كما أنه يصنع أبطاله..

فهو أيضا محرقة..

تأكلهم باستمرار..

وهم راضون ..

لأنه طريق الجنة..

وكل من لم يكن أصيلا في هذه الحركة سيسقط في إحدى المحطات..

ويتوقف ..

ليجد نفسه في مزبلة التاريخ..

لا تخشوا على الحركة الجهادية من المتسلقين..

ستفضحهم تكاليف الجهاد ..

وتبعاته..

يا مقلب القلوب والأبصار...

ثبت قلوبنا على

طاعتك..

والجهاد في سبيلك ...

۞ ما هبّت الصّبا، إلا وَجَدتُّ منها ريح أسامة ...

غِبْتَ فلم تغِب ذكراك،

لازلتُّ أتجرّع مرارة رحيلك،

ولازال فقدك غصّة في نفسي،

لوعة فراقك تقتلني،

مقعدك شاغر في قلبي،

أبحث في ذاكرتي عن طيفك،

أتذكرك في كل حدث ومناسبة،

وعند كل فرحٍ ونائبة،

تخطر في بالي أحاديثك المؤنسة،

وأستحضر صوتك،

وأتخيّل بسماتك،

وأعيد صياغة حبك،

تشرق شموس محبتك،

فتنهمر شلّالات المودة،

وتفيض دموع القلب،

الله يعلم كم أحبك،

فما لي أكتّم حباً قد بَرَى جسدي،

ما هبت الصّبا،

إلا وأنا أجد ريح أسامة ...

...(1)...

كان رحمه الله يحب أهل العلم ويقدّرهم، وكان حريصاً على أن يكونوا حوله يستشيرهم، ويستأنس برأيهم، وكم بعثني كما بعث غيري مرات ومرات إلى أهل العلم في بلاد الحرمين، يعرض عليهم مشروعه، ويحثهم على الهجرة، ويرغبهم في اللحاق به، قال لي ذات مرة: (إن خروج عالم كبير إلينا سوف يقلب الطاولة على آل سعود) ...

-(2)-

طلب مني يوماً صياغة رسالة إلى الشيخ حمود العقلا رحمه الله، يستشيره في أمر ما، وأردت وقتها التملّص من تلك المسئولية، فقلت: ياشيخ لو تعفيني من كتابة هذه الرسالة، فليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة، فلما سمعها الشيخ كاد ينفجر ضاحكاً، فوضع يده على فمه خشية أن يرتفع صوته، فقد كان رحمه الله لا يضحك إلا تبسّماً، ومارأيته قطّ ضاحكاً تبدو لهواته، فوالله لا أدري وقتها بأيّهما أفرح، هل بإعفائي من الكتابة أم بإدخالي السرور على الشيخ ...

-(3)-

وكان عنده من العلم رحمه الله ما يؤهله للنظر في الأدلة والترجيح بين الأقوال، جمَع الله له بين الحكمة العلمية والعملية، تدارست معه مرة مسألة من مسائل العمل الجهادي، فقلت له: الشيخ فلان يقول في كتابه الفلاني كيت وكيت، فقال: نعم،

قرأت رأيه ولم أقتنع به؛ فتعجّبت من مخالفة الشيخ أسامة لذلك الشيخ، وقد كان الكثيرون وقتها يقلدون ذلك الشيخ فلان فيما ذهب إليه،حتى إن مجموعة انشقّت عن جماعتها الجهادية الأم (غير القاعدة)، بسبب تبنيها ذلك الرأي ...

-(4)-

وكان رحمه الله عسكرياً من الطراز الأول، يشدّك حين تسمعه يتحدث عن الإستراتيجية والتكتيك،كأنه أستاذ جامعي يلقي محاضرة في مدرج طلابي، تنساب كلماته كأعذب الألحان، يعرض أفكاره في هدوء ورويّة، بمقدمات شرعية وتحليلات منطقية مدعومة بالتاريخ والأرقام، فقد كان رحمه الله يعشق لغة الأرقام وضرب الأمثلة، وكان موفّقاً من عند الله في اختيار الأهداف ووضع الخطط، له قدرة عجيبة على الإبتكار، وكنت أسميّ خططه (السهل الممتنع)، عرضت عليه ذات مرة خطة إبتدائية لمهاجمة أحد الأهداف داخل بلاد الحرمين، وكانت الخطة تحتاج عدداً معيناً من الإستشهاديين، فقال: العدد ولله الحمد متوفر لدينا، ولكن هذا الهدف تتوقع الحكومة منا أن نهاجمه، فليس من الحكمة أن نفعل ذلك؛ كان رحمه الله ذا نَفَسٍ طويل، كثيراً ما يردد (إن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث) ...

-(5)-

كان بارعاً في إدارة التنظيم، وله فلسفته الخاصة في ذلك، اكتسبها من دراسته الجامعية للعلوم الإدارية وممارسته للعمل التجاري، ومن تجربته الطويلة في ميادين الجهاد، يعطي جنوده هامشاً كبيراً من حرية التصرف، ويفوّض إليهم كثيراً من الصلاحيات، ونادراً مايتدخل في التفاصيل، كان قائداً بحق، تجسدت فيه كل صفات القيادة، سمعته ذات مرة يقول: طلب منا بعض العسكريين (يقصد ضباطاً سابقين) أن نسير بالتنظيم سير العسكرية المعاصرة فرفضتُّ ذلك، فقد كان رحمه الله يدرك أن العسكرية في الإسلام نسيج وحده،و كان حريصاً أن لا تنتقل (لوثة) العسكرية المعاصرة إلى داخل التنظيم، لأن الجندية في الإسلام تختلف عن مثيلتها في جيوش الطواغيت ...

-(6)-

كان رحمه الله عفيفاً متعفّفاً، جاءه يوماً أحد الزائرين بمبالغ مالية كتبرعات للتنظيم فأعطاها للشيخ، ثم أخرج الزائر مبلغاً آخر فقال: هذا خاص لك ياشيخ، فتبسّم الشيخ، والتفت إلى حمزة القطري رحمه الله وكان ضمن اللجنة المالية، فقال له: ياحمزة، خذ هذا فضعه في المال العام ...

-(7)-

كان رحمه الله خلوقاً، بل الخلق الحسن هو (أسامة)، حلو المعشر، طاهر اللسان، دائم البِشر، ودوداً، لا تملّ مجالسته، لطيفاً خاصة مع الشباب، يجالسهم ويشاركهم أحاديثهم، وربما شاركهم أحياناً اللعب خاصة كرة الطائرة، فقد كان بارعاً فيها بما حباه الله من طول فارع، وكان الشباب شديدي التعلّق والكَلَف به، أذكر في إحدى حفلات الزواج، قام المنشد بتحوير كلمات نشيد مشهور، فقال: (نريد أسامة بن لادن وليس سواه يكفينا)، فكأن الشيخ امتعض من هذا الكلام وتضايق، فلما انتهى المنشد، قام الشيخ فتحدث بالمايكروفون، عن الغلو في الأشخاص، فنهاهم عن ذلك القول في رفق وتؤدة، وحذرهم أن يعودوا لمثله ...

-(8)-

كان رحمه الله يحب النصيحة ، ولا يتضجر من النقد ، ولايتبرم من أي دعوة صادقة للإصلاح، قلت له يوماً : ياشيخ لماذا لا يكون للتنظيم (منهج شرعي) مكتوب ، فقال رحمه الله : نحن لا نرى ذلك ، منهجنا يُؤخذ من مجموع خطبنا ومحاضراتنا ورسائلنا ؛ ولما سألته عن موقف إمارة طالبان من العمليات الخارجية ، أجابني بكل أريحية، ثم شاء الله في ليلة عيد الأضحى من عام 1421 من الهجرة ، ونحن على مائدة الإفطار ، يوم عرفة، في معسكر الفاروق ، وفي حضور ثلة من الأحباب ، منهم الشيخان الوحيشي والآنسي رحمهما الله ، أن يتطرّق الشيخ لذلك الموضوع ، فأسهب وأجاد ، ثم قال : (نحن أخذنا بالإذن العام) ، سمعته أذناي ، ووعاه قلبي ...

-(9)-

كان للسودان في قلبه مكانة كبيرة، وله ذكريات جميلة على ربوعه، وقد حدثني ذات مرة أنه كان يريد الزواج من إحدى القبائل هناك (قبيلة يشتهر أهلها بالفروسية) ولكن لم يتيسر له ذلك،كنت أشعر بمدى حبه لذلك البلد، خاصة في حرصه على الحديث بلهجتنا عندما ألتقيه، رآني ذات مرة متضجراً، فقال لي بلهجتنا العامية (يازول دايره صبر)، أي أن عملنا هذا يحتاج إلى صبر، وكان يعجبه المثل السوداني (لالُوبْنا ولا بَلَح الناس)، أي نعيش على مواردنا الذاتية الرديئة ولا نعتمد على موارد الآخرين الجيدة، يتجلى حبه للسودان في القصيدة التي أنشدها ابنه حمزة عندما كان صغيراً، فيقول في أحد أبياتها وهي من تأليف الشيخ (خرطوم أعشق عُرفها * لكن أبت لي أن أقَر)، ألا لعنة الله على كل طاغوت ...

-(10)-

هذا الحب انتقل حتى إلى أبنائه، فقد جمعتنا ذات ليلة، جلسة صحراوية، على رمال قندهار، مع أبناء الشيخ عبد الرحمن وعمر وسعد وعثمان ومُحَمَّد، نتسامر على ضوء حطب النار المشتعل، وقد احتضن أباريق الشاي، في تلك الليله، وعلى أصوات احتراق الحطب، ورنين كاسات الشاي، أنشد عبد الرحمن وسعد للحاضرين، أناشيد جهادية، باللهجة السودانية، مما أدهشنا أجمعين، عذوبة في الأصوات، وإتقانٍ

للهجة، وقوة في الذاكرة، فما أجمل تلك الأيام وما أحلاها ! وما أروْع ذاك الزمان ! ...

تلك عشرة كاملة ...

أجد الملامةَ في هواكَ لذيذةً ...

حباً لذكرك فَلْيَلُمْني اللُّوَّمُ ...

رَحِمَ الله أسامة ...

❁ ..... نظرية الإدّخار .....

في(بيشاور) الباكستانية ...

جلست ذات مساء ...

إلى الشيخ الجليل أبي ياسر المصري (رفاعي أحمد طه) مسئول مجلس شورى الجماعة الإسلامية المصرية ...

كان اللقاء في منزله ...

قلت له :-

نحن نعتب عليكم أنكم (تضنّون) بدماء أبنائكم على (الجهاد الأفغاني)..وأنكم تدّخرونهم لبلدكم (مصر) ...

تبسم رحمه الله .. وقد كانت بيننا مودة خاصة ..

ثم قال :-

هذا الكلام غير صحيح ..

نحن هذا العام أرسلنا (12) أخاً إلى منطقة بغمان (شمال كابل) لخوض معارك الصيف.. قُتل منهم أربعة.. وجُرح أربعة.. وسلِم أربعة..

نعم ..لقد صدق الشيخ رحمه الله في حديثه..

وكان من ضمن القتلى ..أحد أبرز المدربين العسكريين لدى (الجماعة الإسلامية) .. وأحد أميز كوادرها ..ألا وهو الأخ (صهيب المصري) رحمه الله..

في نهاية ذلك اللقاء ...

قال لي أبو ياسر رحمه الله...

(حكمة عجيبة) ..

لازال صداها يتردد في نفسي..رغم مرور حوالي (30) سنة على ذلك اللقاء..

قال :-

يا أبا حذيفة.. الأخ الذي يخوض المعارك هنا..وتصقله التجربة الميدانية ..هو الذي نستفيد منه في (مصر)...

*****

وعلى الشطّ الآخر ...

في الجانب المقابل ...

يصطفّ (المرجفون) في بيشاور ...

المعوّقون لإخوانهم عن التضحية والفداء ...

المخذّلون غيرهم عن الجهاد ...

أشحّة بأرواحهم ...

أن يرخصوها في سبيل الله ...

لا يأتون المعارك ...

ولا يخوضون غمارها ...

عصبة جاءت بإفكٍ مبين ...

يسلقون المجاهدين بألسنة حداد ...

دعواهم الباطلة :-

(الجهاد محرقة للشباب ومعاركه عبثية) ...

شعارهم البغيض :-

(وفّر دمَك لبلدك) ...

قال قائل :-

(لقد كبّرت على الجهاد الأفغاني أربعاً وفي رواية خمساً)...

سمعتها أذناي في (بيشاور) ذات يوم ..

سبحانك ربي هذا بهتان عظيم ...

*****

ما أشبه الليلة بالبارحة !...

أيعيد التاريخ نفسه ؟!...

سوف يوهمونك أنك (كادر) و(أبو الكوادر) ...

وأن الإسلام سيضيع (بمقتلك) ...

لا تصدّقهم ...

القوم هم القوم ..فاحذرهم ...

احرص على الموت في سبيل الله ...

وكن على يقين ...

أن دماءك الزكية ...

سوف تُنبت عشرات بل مئات الكوادر ...

كما تَنبت الزهور والورود في مقفرات البراري ...

*****

لا تسمح لهم أن يدّخروك ..

ليوم كريهة وسداد ثغر (كما يزعمون) ...

بل لا تسمح لنفسك التي بين جنبيك أن تدّخر نفسك ...

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً)...

الله سبحانه يخلق مايشاء ويختار ..

إن شاء اصطفاك شهيدا ...

وإن شاء ادّخرك لتنكأ أعداءه ...

هو الذي يدبّر أمرك بحكمته وعلمه ...

فلا تتّكل إلا على اختيار الله لك ...

ولا تتمنّى غير ما اختار الله لك ...

*****

حولك العشرات من أزهار الرُّبَى ...

بل هم آساد الشَّرَى ...

وليوث الوغى...

عندما خرجتَ للجهاد ...

كانوا في عمر الطفولة ...

كن قدوة لهم ...

تقدمهم في المعارك ...

وسابقهم إلى الموت ...

لا تسمح لهم أن يسبقوك إلى الشهادة ...

فتصيرَ كالباز المنتفّ ريشه ...

تقتلك الحسرات ...

كلما طار أحدهم شهيداً ...

وصارت أرواحهم في حواصل طير خضر ...

تسرح من الجنة حيث شاءت ...

يا أيها (الكادر) ...

أنت (إمامهم) فكن (أمامهم) ...

❁ هكذا علّمني السجن ...

سألني ضابط الجناح ..

وهو برتبة (نقيب) ..

ذات يوم ..

فقال :-

متى ذهبت إلى أفغانستان ؟ ..

فقلت له : ذهبت عام (.......) ..

التفت الضابط إلى العسكري الذي بجواره...

فقال له :-

هذا نفس العام الذي وُلِدت فيه ...

*****

من نكد الدنيا على الأخ في السجن ..

أن يرى كثيراً من العسكر ..

ناهيك عن الضباط ..

وهم في سنّ أبنائه ..

وتجده يأطر نفسه أطراً على الصبر ..

فيستخرج أقصى طاقتها ..

ويؤزها أزاً على التحمّل ..

فيبلغ ذروة قوتها ..

تجاه ما يلاقيه من تلك (الشرذمة) ..

من أنواع الضرر المعنوي ..

وأصناف الأذى اللفظي ..

وفنون العذاب الجسدي ..

وهو لا يملك من أمر نفسه شيئاً ..

تتقطع نفسه حسرات ..

ويقتله الكمد ..

ويفترسه القهر ..

فيصبر ..

ويصبر ..

خشية أن يتعرض إلى ما لا يطيق من البلاء ..

وهو أصلاً في كرب وابتلاء ...

ولا أزعم أننا كنا جميعاً كذلك ..

لا واللهِ ..

فقد كانت بيننا أسود ضارية ..

لا تنام على ضيم ..

ولا تخاطب العسكري إلا بقولها ..

(يا عدو الله ..يا مرتد)..

فتشفي صدور قوم مؤمنين ..

وتُذهب غيظ قلوبهم ..

*****

واليوم ..

وأنا أتنفس عبق الحرية ..

أخاطب نفسي ..

ما بال أحدنا ..

تحمّر أنفه ..

وتنتفخ أوداجه ..

من كلمة سيئة ..

قيلت في حقه ..

وقد كنا بالأمس نصبر على أعظم منها ..

واللهِ ..

إن إخواننا (حبّات القلوب) ..

هم أحق بالصبر ..

وأولى بالتحمل ..

من تلك (الشرذمة) ..

خليق بنا..

أن نغضّ عن هفواتهم ..

ونعفو عن زلاتهم ..

ونقيل عثراتهم ..

ونتجاوز عن إساءاتهم ..

نصبر ونعفو ونصفح ..

عن طيب خاطر ..

وسماحة نفس ..

بلا منّ ..

ولا أذى ..

(وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) ..

*****

في السجن ..

وقع بين يدي نسخة ..

من كتاب الشيخ سلمان العودة (فك الله أسره) ..

(شكراً أيها الأعداء)..

توقفت طويلاً عند فقرة من الكتاب ..

متأملاً ..

نقشتها في ذاكرتي نقشاً ..

يقول فيها ..

(إن الذين يرفضون الصفح ..

أو يتباطؤون فيه..

إنما يضرون أنفسهم ..

قبل أن يضروا الآخرين..

وعليهم أن يتحملوا التوتر العاطفي المصاحب للضغينة ..)..

صدق.. واللهِ ..

لذا تجد أهل الصفح والعفو ..

أشرح الناس صدراً ..

في هدوء بال ..

وراحة ضمير ..

وطيب عيش ...

*****

أحبابي ..

تذكروا دوماً ..

قوله تعالى ..

(فمن عفا وأصلح فأجره على الله)..

واجعلوا نصب أعينكم ..

قول رسولنا مُحَّد ..

ﷺ..

(وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً)..

*****

اللهم إني أشهدك ..

أني قد عفوت ..

عن كل أخ أساء إلي..

وجعلته في حلّ ..

اللهم ..

فاجعل ذلك قربة إليك ..

واغفر لي ما أسأت به إلى إخواني ..

واعف عني ..

إنك أنت العفوّ الغفور ..

۞ هل يرجع الماضي ...

ينام أخي على زندي ... أظلّله بأهدابي ...

وفي قلبي فرشت له ... فهل يدري أخي ما بي ...

لا تزال كلمات هذا النشيد محفورة في وجدان أبناء ذلك الزمن الجميل .. خالدة في ضمائرهم .. حية في أذهانهم .. تنفض أرواحهم عنها غبار السنين .. نسمعها بصوت منشدها أبي الزبير المدني رحمه الله .. وهو يعيشها بكل جوارحه .. والغصّة تصدح في صوته الشجيّ .. وكأن الدمعات تلمع في عينيه .. تنداح في مخيلتنا صورة الشهيد وقد ألقى برأسه على يد أخيه .. في لحظات الفراق الأخيرة .. وهو يلقي عليه نظرات الوداع .. تفجّرت معاني هذا المشهد شعراً .. صاغه صاحبه في كلمات بسيطة .. ولكنها حَوَت عظيم المعاني .. أبيات في غاية الروعة والجمال والإبداع .. تزلزل أركان القلوب النابضة بحب الجهاد .. إنها قصة الألم الدفين .. وحكاية الإخاء الربّاني .. بين أبناء ذلك الجيل الفريد .. كانوا بلْسم الجراح والمواجع .. كنا فتية في أعمار الزهور .. ألّف بيننا تُقى الله .. وجمعنا درب الجهاد والنّزال .. لم يكن لنا اسم غير اسم الإسلام (هو سمّاكم المسلمين) .. لم نخض وحْل الحزبية البغيضة .. ولم نتلوّث بعنصرية التنظيمات .. ولم نعرف التعصب للجماعات ..

امتلأت قلوبنا بمشاعر الأخوة في الله .. بيننا ألفة ومودة .. ولنا أماني وأحلام .. مشاعرنا صادقة .. وقلوبنا طاهرة .. وألسنتنا نقية .. بأطايب الكلام ..

(تُرى هل يرجع الماضي فإني * أذوب لذلك الماضي حنينا) ..

*****

إنها الروح التي فقدناها .. فصرنا نفتّش عنها في قلوبنا المثقلة بالذنوب .. تحاول نفسي أن تبوح عن بعض مكنوناتها .. بحثاً عن الراحة .. فأسكب هنا بعض آلامي .. ويكسرني الحزن النبيل على فراق أحبتي .. أغمض عينيّ .. وأسرح بخيالي مع طيف الأحبة في قديم الذكريات ..أنبش الماضي البعيد .. وأنكأ الجرح القديم .. قلبي ينزف في أنين .. ودمعة الحزن أظل أسكبها .. على رفقاء الزمن الجميل .. منهم من قضى نحْبه .. ومنهم مَن ينتظر .. النفس تبكي مكلومة على أخ قديم .. يبقى بضْعاً مني وأنا منه .. أفتقد ظله كما البدر في ليلة ظلماء حالكة .. قد أعْيَتني لواعج الشوق والحنين .. يعتلج الألم مع شدة الإشتياق .. وعندما أبوح كأني أنزف .. وكل حرف فيه هو قطرة من دمي ...

*****

ما الذي أصابنا ..

حتى تدبّ بيننا أسباب الفرقة وعوامل الشقاق .. ما الذي جعل معاول الشتات تنهش في أوصالنا من كل حدب وصوْب .. الإخاء جامد بارد .. لا حرارة فيه ولا شوق .. والصفوف معْوَجّة مضطربة .. والشياطين تطلّ برؤوسها .. قد أفسحنا لها بين محاذي مناكبنا وأقدامنا ..

أيّ تِيهٍ هذا الذي دخلناه ...

*****

سادتي المجاهدين ..

كم نحتاج اليوم أن نشيع بيننا روح الإخاء الإيماني .. ونحن نرى العدو يتربّص بنا .. لا إخاء يعدل إخاء المتآخين في الخنادق .. الباذلين أرواحهم في خطوط النار الأُولى .. حيث يمتزج الدم بالدم .. وقد قال عمر رضي الله عنه (ما أُعطي عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح ، فإذا رأى أحدكم ودّاً من أخيه فليتمسّك به) .. فلا تفرّطوا في إخوانكم .. فإن أعجز الناس مَن فرّط في طلب الإخوان .. وأعجز منه مَن ضيّع مَن ظفر بهم .. فاحرصوا على إخوانكم .. واشعروا بقيمتهم .. (ولا يُنْبيك عن ألم الليالي * كمَن فَقَدَ الأحبة والصِّحابا) .. امدحوا حسناتهم .. وتجاوزوا عن أخطائهم .. واغسلوا قلوبكم من نزغات الشيطان .. واحذروا سوء الظنّ ..

والتمسوا لإخوانكم الأعذار .. وتذكّر دوماً .. يا سيدي المجاهد ..أن أخاك قد يغادرك فجأة .. بلا سابق إنذار .. فيسقط شهيداً .. وترتقي روحه .. وتبقى ياسيدي وحيداً ...

قال ﷺ ..(ما تحابّ اثنان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدّهما حبّاً لصاحبه) ...

كتبه/ أبوحذيفة السوداني ...



الفهرس